



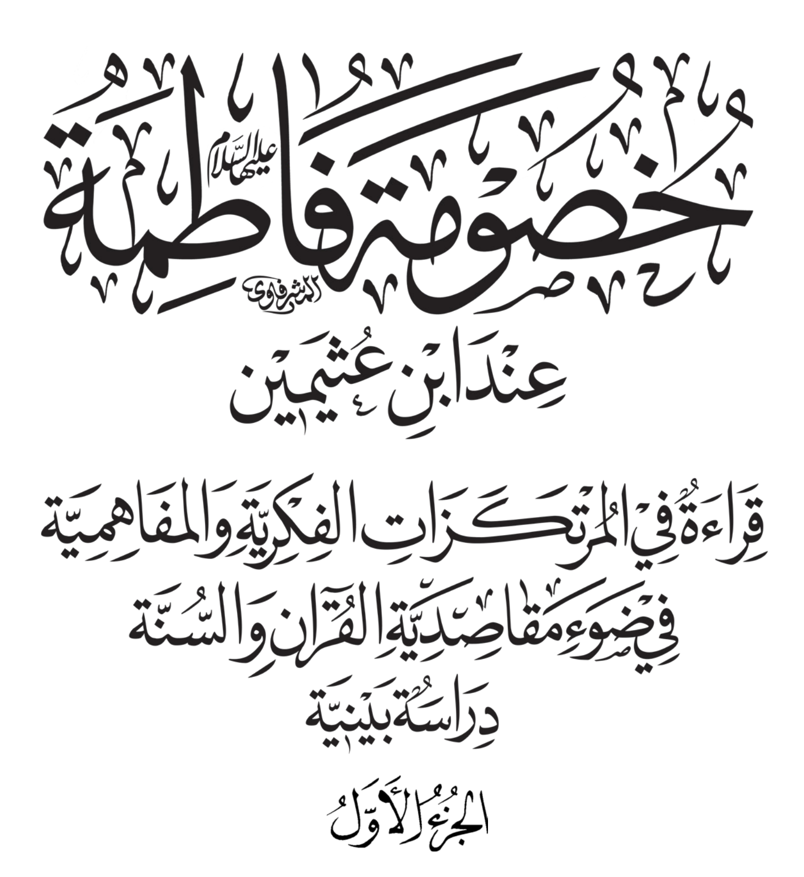


رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٢٨٣٥ لسنة ٢٠٢٠

مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC : BP80.I82 N33 2020
المؤلف الشخصي : نبيل، نبيل - مؤلف.
العنوان : خصومة فاطمة عليها السلام عند ابن عثيمين المتوفى (١٤٢١ هـ): قراءة في المرتكزات الفكرية والمفاهمية في ضوء مقاصيدية القرآن والسنة /
بيان المسؤولية : دراسة بينية السيد نبيل الحسني.
بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
بيانات النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٠ / ١٤٤٢ للهجرة.
الوصف المادي : ٢ مجلد ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٨٠٤).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٨٤).
سلسلة النشر : (سلسلة الدراسات في آل علي (عليه السلام)، الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) ؛ ٥).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش.
موضوع شخصي : العثيمين، محمد صالح، ١٩٢٩-٢٠٠١ – شبهات وردود.
موضوع شخصي : فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ٨ قبل الهجرة - ١١ للهجرة - دفع مطاعن.
مصطلح موضوعي : أهل بيت الرسول عليهم السلام (الشيعة الامامية) - دفع مطاعن.
مصطلح موضوعي : الحديث – شرح.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الدراسات في آل علي (عليهم السلام)
(٥)
الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام)



(عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل يدرك به ما يقول، أو يفعل، أو ما هو الصواب فيه، فنسأل الله أن يعفوا عنها، وعن هجرها خليفة رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم)

(ابن عثيمين، المتوفى سنة ١٤٢١: شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير)

تأليف
السيّد نبيل الحسني الكربلائي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الاولى

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء

إلى الطفولة المنحورة عند أعتاب الخلافة ...

إلى السقط الشهيد المحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)...

إلى عبد اللّه الرضيع بن الحسين بن علي بن أبي طالب المذبوح على صدر أبيه (عليهم السلام)...

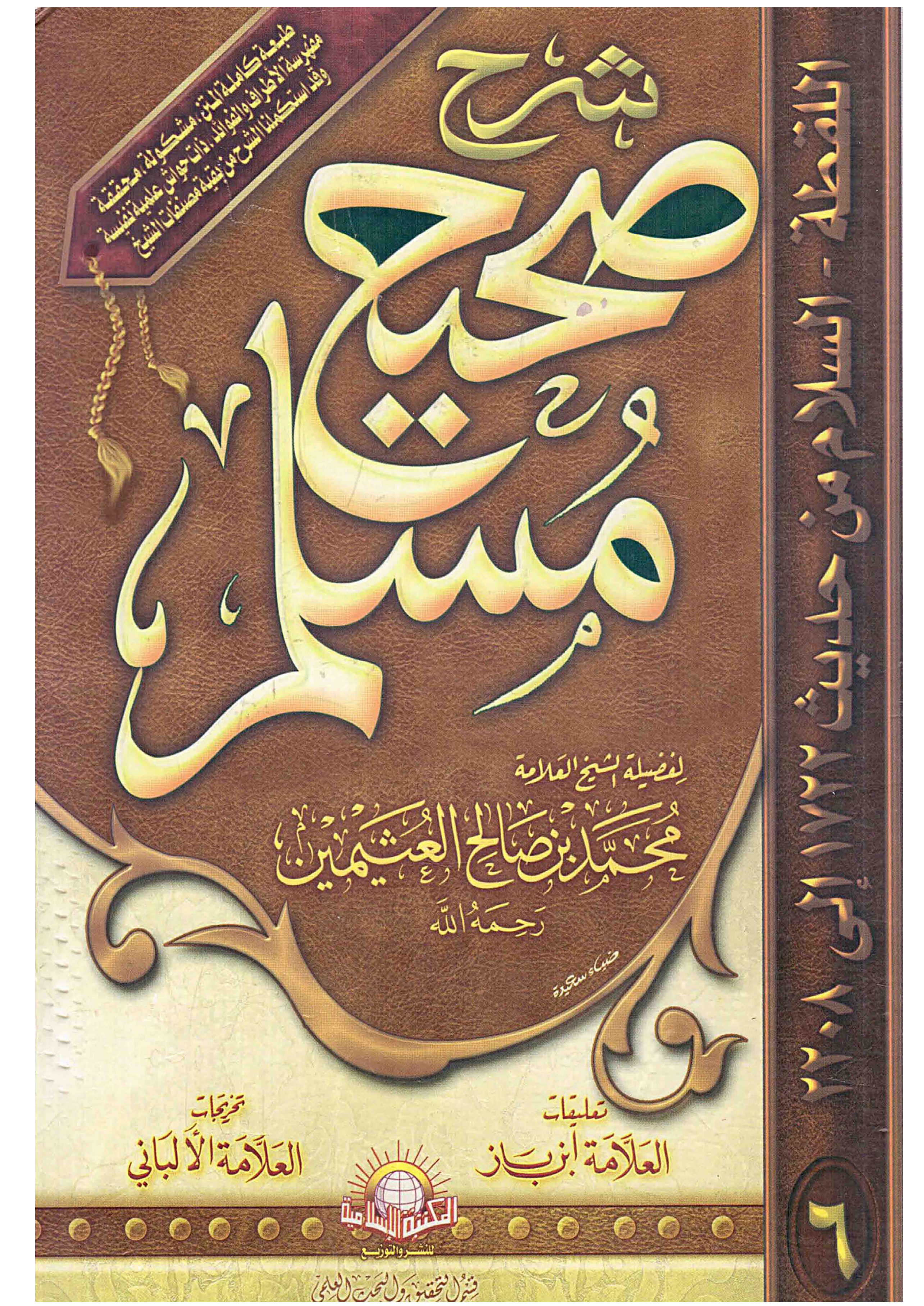
إلى عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب المنحور بين يدي عمه الحسين (عليهم السلام)...

إلى القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب الشهيد الذي لم يراهق (عليهم السلام)...

إلى اطفال آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين استشهدوا وتيتموا وتشردوا بفتاوى الخلافة.

أهدي كتابي هذا.

خادمكم نبيل


شرح صحيح مسلم
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله
تعليقات
العلامة ابن باز
تخريجات
العلامة الألباني
المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع
6
الفتحة - السلام من حديث ١٧٣٢ إلى ٢٣٠٨

(الوثيقة الأولى لقول ابن عثيمين)

فَإِنِّي لَمْ آلُ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ. فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ، وَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى لَنَا فِي الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتُبِدَّ عَلَيْنَا بِهِ، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ.

۞ قوله: «فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ قَالَ: فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ». نسأل الله أن يعفو عنها، وإلا فأبو بكر رضي الله عنه ما استند إلى رأي، وإنما استند إلى نص، وكان عليها رضي الله عنها أن تقبل قول النبي ﷺ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» ولكن كما قلت لكم قبل قليل: عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل يُدْرِك به ما يقول أو ما يفعل، أو ما هو الصواب فيه؛ فنسأل الله أن يعفو عنها، وعن هجرها خليفة رسول الله ﷺ.

وما فعله عليٌّ أمر عجيب، ولا يمكن أن نُخَطِّئ الصحابة رضي الله عنهم في بيعة أبي بكر، ونُصَوِّب علي بن أبي طالب فيما رآه؛ لأن ما رآه علي رضي الله عنه مخالف لظاهر ما جاءت به السنة؛ يعني: أنه أحق من أبي بكر وغيره؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، وذلك من وجوه:

أولًا: أن النبي ﷺ حين استخلف في مرضه في صلاته، إنما خلَّف أبا بكر رضي الله عنه، وإمامة الصلاة إمامة صغرى؛ ولهذا يجب على المأمومين أن يتابعوا الإمام كما يجب على الرعية أن تطيع الإمام.

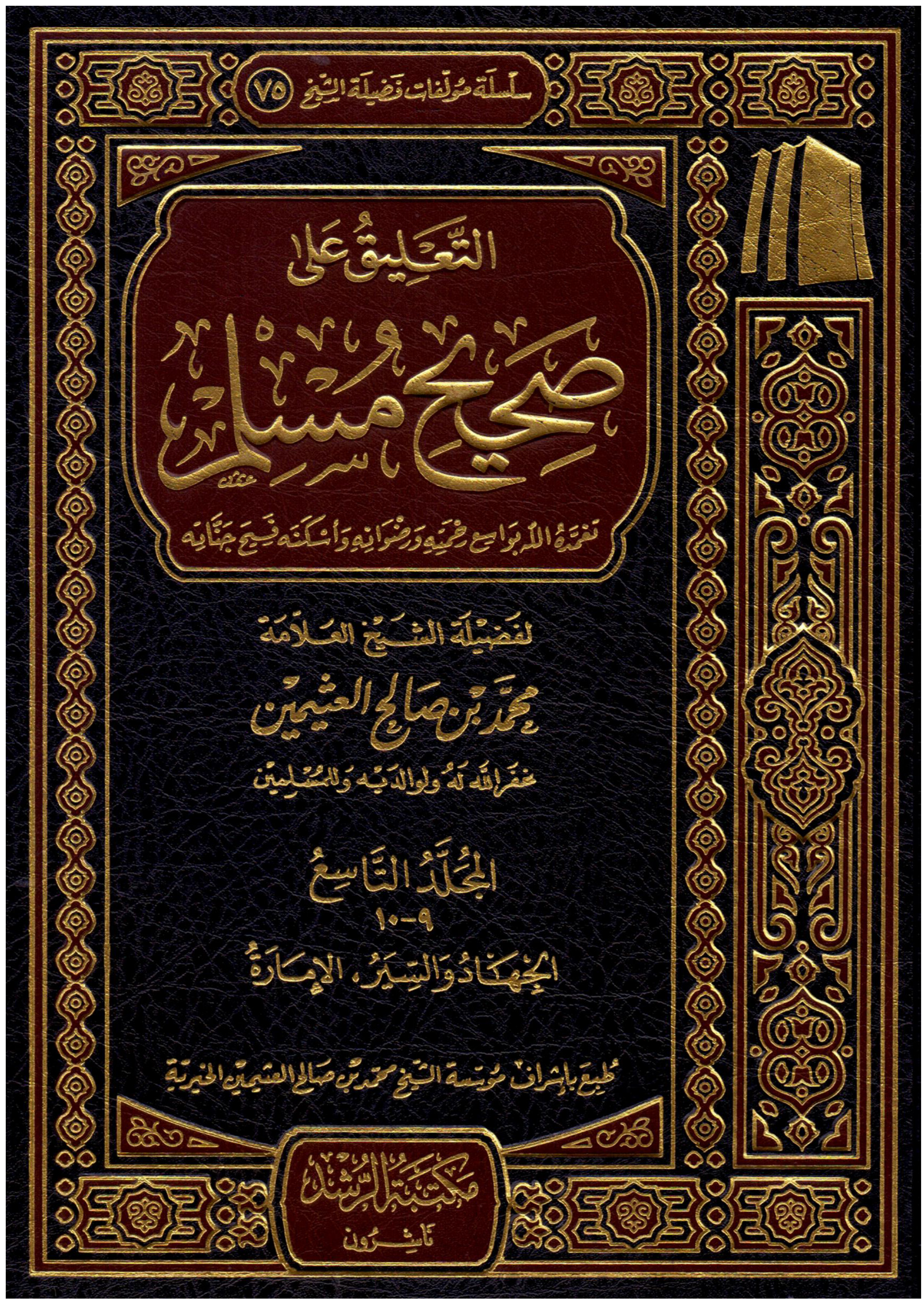
ثانيًا: أن النبي ﷺ خلَّفه في قيادة الحجيج في السَّنة التاسعة، ولو كان غيره أولى منه في خلافة الرسول عليه الصلاة والسلام لاستخلفه، ولم يستخلف أبا بكر رضي الله عنه.

ثالثًا: أنه ﷺ في مرضه قال: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِي وَصُحْبَتِي أَبُو بَكْرٍ، وَلَا يَبْقَى بَابٌ فِي الْمَسْجِدِ إِلا سُدَّ إِلا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»[2]. وهذا إشارة إلى أن أبا بكر سيكون هو الخليفة الذي يدخل إلى المسجد من باب بيته.

---

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.


سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ ٧٥
التعليق على
صحيح مسلم
تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
المجلد التاسع
٩-١٠
الجهاد والسير، الإمارة
طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
مكتبة الرشد
ناشرون

﴿الوثيقة الثانية لقول ابن عثيمين﴾

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِـهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَهَجَرَتْهُ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ [١]،

---

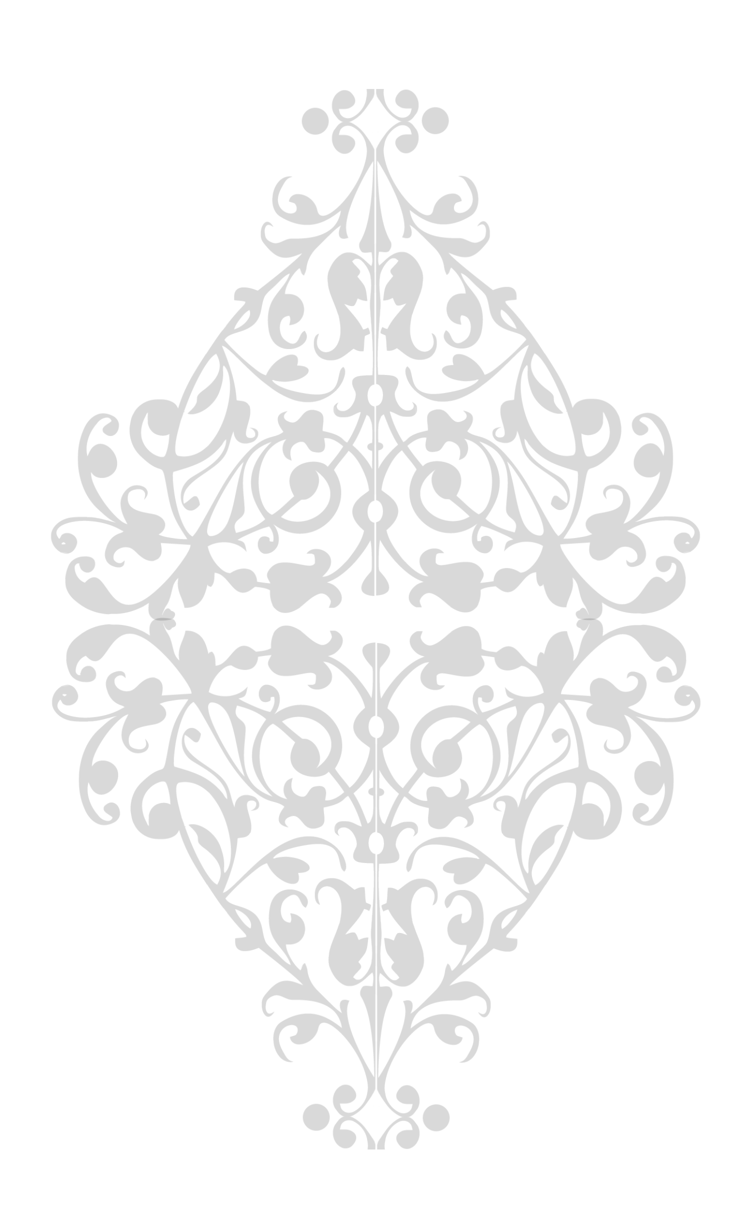
[١] اللَّهُمَّ اعفُ عنها، وإلَّا فإن أبا بكر رضي الله عنه ما استند إلى رأي، وإنَّما استند إلى نصٍّ، وكان عليها أن تقبل قول النبي عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا نُورَث، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، ولكن عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل يُدْرِك به ما يقول أو ما يفعل أو ما يتصرَّف فيه، فنسأل الله أن يعفو عنها عن هِجْرتها خليفةَ رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

فإذا قال قائل: ما الجمع بين فعل فاطمة رضي الله عنها، وقولِ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «**لَا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**»(١)؟.

فالجواب: لعلها ترى رضي الله عنها أن الهجر لسبب -ولو طال- لا بأس به، كما هَجَر ابن عمر رضي الله عنهما أحد أبنائه لـمَّا حدَّثه أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**لا تمنعوا إِمَاء الله مساجد الله**»، قال: والله لنَمْنَعهُنَّ، فأقبل عليه عبد الله بن عمر، وسبَّه سبًّا شديدًا، وقال: لا أكلِّمك ما حَيِيتُ(٢)، فكأنهم يَرَوْن أن الهجر

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يُنْهَى عن التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض، رقم (٢٥٥٩/ ٢٣) عن أنس رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث، رقم (٢٥٦٠/ ٢٥) عن أبي أيوب رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري في الموضع السابق، رقم (٦٠٧٥)، ومسلم في الموضع السابق، رقم (٢٥٦١/ ٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) تقدم تخريجه (ص:٢٧).



مقدّمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسدها، وإحسان منن أولاها»[١].

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه، أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وتَخْوِيفاً لِلْمَثُلَاتِ»[٢].

وأن عترته وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا «هُمْ مَوْضِعُ سِرِّه ولَجَأُ أَمْرِه، وعَيْبَةُ عِلْمِه ومَوْئِلُ حُكْمِه، وكُهُوفُ كُتُبِه وجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه»[٣].

و«هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ»[٤]، فصل اللهم عليه وعليهم صلاة تامة، ونامية، ومتواصلة، ومتصلة، بعدد ما أحاط به علمك، ومنتهى رحمتك وفضلك ولطفك واحسانك وبركاتك، إنّك حميد مجيد.

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري (ت ٣٢٣هـ): ص١٤٠؛ بلاغات النساء لابن طيفور (ت ٣٨٠هـ): ص ١٥؛ دلائل الإمامة للطري الإمامي (ت ٤٠٠هـ): ص١١١.

(٢) نهج البلاغة بتحقيق الشيخ قيس العطار: ص ٨٠، ط: العتبة العلو ية.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر السابق: ص ٨٢،٨٣.

وألعن اللّهم اعدائهم، ومبغضيهم، والشاكين في فضلهم، والمانعين حقهم، والدافعين لهم عن مكانهم الذي وضعتهم فيه؛ وأحلل عليهم غضبك، ونقمتك، وعذابك أبد الأبد، ومنتهى العدد، حتى يرضى حبيبك وخيرتك من خلقك (صلى الله عليه وآله وسلم) ولن يرضى حتى ترضى بضعته، وصفيته، وقرة عينه، وقلبه، وروحه التي بين جنبيه، فاطمة المظلومة، الشهيدة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها).

أما بعد:

فإن النفس البشرية ومنذ أن دخلت عالم الاختبار، وجبلت على الاختيار والاقتدار في الأقوال والأفعال، فقد نشأ فيها التخاصم؛ وذلك لتأصل الخير والشر في النفوس إلا ما رحم ربي.

فبين مخاصم في حق، ومنازع في باطل، ومحاد في عداء، وملاد في أعتداء؛ فكان تاريخ البشرية مليء بالحوادث والمواقف والمشاهد من المخاصمة، والمنازعة، والمحاججة، والمحادة، والملادة؛ ليس بين بني البشر فحسب، بل بين الإنسان والله عز وجل ﴿**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾[1].

بل الإنسان عدو شرس في خصامه لله وأوليائه منذ أن بعث آدم (عليه السلام) وشرع في بيانه لإحكام الله عز وجل، فكان أول أعدائه ولده قأبيل الذي ناصبه العداء وحاده إيما محاده.

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٧.

ولم يزل الأمر سارياً مع الأنبياء والمرسلين(عليهم السلام) ومن آمن بهم ووالاهم، فقتل من قتل، وعُذَب من عذب، وشُرد من شرد.

حتى إذا انتهى بنا التاريخ الى سيرة سيد الخلق (صلى الله عليه وآله وسلم) وجدنا أن هذه السيرة لم تزل تأن من المحادة لله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخاصم الله ورسوله آناء الليل وأطراف النهار.

فبين مجاهر بخصامه وبين مضمر، وبين معتذر عن خصم مبين، وملتمس لعدو لعين، ومنمق للباطل، وملمع لوجه القاتل، ظهرت أمم وأفلت أخرى، وهي لا تهتدي الى حقيقة أن بعض أسيادها وقادتها ورؤسائها قد ضلوا وأضلوها السبيل.

والعلة في ذلك أنهم كانوا يوادون من حاد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكونوا في حقيقة أمرهم مؤمنين بما جاء من عند الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ قال تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[١].

فتبعوا آبائهم وأبناءهم وأخوانهم وعشيرتهم، وأطاعوا كبرائهم وساداتهم وهم يعلمون أن كبرائهم وساداتهم يحادون الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخاصمونهما.

أو يتجاهلون ذلك ركوناً منهم الى العصبية، وتلبساً في براثن الجاهلية،

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

واستجابة الى المطامع، واستئناساً بأماني المنافع، فكانوا شراكاً في الأثام، وموازرة اللئام، فخاصموا أولياء الله ألد الخصام.

ولأن طاعة الكبراء والسادات، الذين طغوا في البلاد، وعاثوا فيها الفساد كانت نتائجه الهلاك والخسران المبين؛ فقد كشف القران ما تؤول اليه حال من يطيعهم، فقال عزوجّل: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ ولكي لا يقع المسلم في فخهم ويهلك بطاعتهم فقد حذّرَ أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) من هذا الإتباع والطاعة، فقال:

«أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وجَاحَدُوا الله عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه ومُغَالَبَةً لِآلَائِه، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا الله ولَا تَكُونُوا لِنِعَمِه عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، ولَا لِفَضْلِه عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، ولَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، ودُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ، ونَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِه، ومَوْطِئَ قَدَمِه، ومَأْخَذَ يَدِه»[1].

(١) نهج البلاغة: ص ٤٥٦.

وما مخاصمة بضعة النبوة فاطمة(عليها الصلاة والسلام) ومعاداتها إلا واحدة من المشاهد التي زخرت بها سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قديماً وحديثاً؛ منذ أن شرع أبان بن عثمان في نسخ السيرة وتقديمها لسليمان بن عبد الملك بن مروان في عام (٨٢ للهجرة). فلما وجدها تتحدث عن الحقائق التي تتقاطع مع منهج بني أبيه وأسلافه الأمويين أمر بتخريقها وأتلافها، ثم أخبر أبيه بذلك فقال عبد الملك بن مروان:

(وما حاجتك أن تقدم [علينا] بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها)[١].

ومما أخفاه الامويون عن الناس من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكثير جداً، وما دلَّسوه ووضعوه في السيرة لكثير أيضاً؛ لا سيما فيما يرتبط بالعترة المحمدية (صلوات الله عليهم أجمعين).

وما هذا المنهج عن عصرنا اليوم ببعيد، فقد دأب الخلف على اقتفاء أثر السلف في التدليس، والتحريف، وقلب الحقائق، ونفث الشبهات.

ومنها:

قول ابن عثيمين في خصومة سيدة نساء العالمين (صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) في ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونحلتها التي نحلها الله ورسوله المخصصة في أرض فدك، وسهم ذي القربى .

فقد دخل ابن عثيمين فيما شجر بين الصحابة، ونعت بضعة النبوة بقول

---

(١) الموفقيات للزبير بن بكار: ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

بذيئ والعياذ بالله فيقول:

(نسال الله ان يعفوا عنها، وإلا فأبو بكر ما استند الى رأي، وإنما استند الى نص، (لا نورث ما تركناه صدقة) ولكن كما قلت لكم قبل قليل:

عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل يدرك به ما يقول، أو يفعل، أو ما هو الصواب فيه، فنسأل الله أن يعفوا عنها، وعن هجرها خليفة رسول الله).

وعليه:

استلزم البحث دراسة هذه الشبهة عبر المرتكزات الفكرية والمفاهيمة للخصومة في القرآن والسُنّة ضمن الفصل الثاني من الدراسة، وإرجاع ما تكون في فكر ابن عثيمين من مفهوم ومعنى للخصومة وعرضه على القرآن والسُنّة لبيان ضلال هذا الفكر وتحيزه لأسياده وكبرائه.

أما الفصل الأول فقد خصص لبيان التعريف بفاطمة (عليها السلام) وخصمها في مقاصدية القرآن والسُنّة، وذلك أن هذا التعريف هو الأساس الذي انطلقت منه الدراسة في تبديد هذه الشبهة الفكرية والعقدية والتاريخية وقد اشتملت الدراسة على تمهيد خصص للتعريف بمصطلحات البحث ومفردات العنوان ومقتضياته؛ وأنهيناها بخاتمة أشتملت على جملة من النتائج.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

التمهيد

المسألة الأولى: الغاية من الدراسة.

اشتملت الدراسة على جملة من المحاور الأساسية والمصطلحات، فضلاً عن بعض الصعوبات والمعوقات، والتي لا يخلو منها أي جهد يبذل في مجال المعرفة، لا سيما الحقل العقدي الذي يرثه الإنسان من أسرته ومجتمعه أو عبر دراسته وتحصيله المعرفي؛ ومن ثم فالدراسة تخوض غمار البحث في الموروث العقدي.

فضلاً عن أننا نخوض غمار البحث فيما شجر بين عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وبالأخص في أمرٍ متجدد منذ وقوعه بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك لما تركه من أثرٍ بالغ في شق العقيدة الإسلامية الى نصفين وتكوين منظومتين تسير باتجاهين متضادين، نتج عنهما ما نتج من حوادث فادحة ومصائب عظيمة.

وأي أمرٍ أعظم مصاباً من محاربة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتدفن البضعة النبوية سراً ويُعفى ثراها، ولعل قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) فيما جرى عليها من حرب وظلم وجور، وهو يخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد حول بوجهه الى قبره، فيه الكفاية في بيان أثر هذه الرزية والمصيبة فيما جناه المستولين عليهم، فيقول (عليه السلام):

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله عَنِّي، والسَّلَامُ عَلَيْكَ عَنِ ابْنَتِكَ، وزَائِرَتِكَ،

والْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ، والمُخْتَارِ الله لَهَا سُرْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِسُنَّتِكَ فِي فُرْقَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وفَاضَتْ نَفْسُكَ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي.

بَلَى وفِي كِتَابِ الله لِي أَنْعَمُ الْقَبُولِ - إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ، قَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، وأُخْلِسَتِ الزَّهْرَاءُ فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ والْغَبْرَاءَ.

يَا رَسُولَ الله، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وهَمٌّ لَا يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي أَوْ يَخْتَارَ الله لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مُقِيمٌ، كَمَدٌ مُقَيِّحٌ، وهَمٌّ مُهَيِّجٌ، سَرْعَانَ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا، وإِلَى الله أَشْكُو، وسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّه سَبِيلاً، وسَتَقُولُ ويَحْكُمُ الله وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ ولَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ الله الصَّابِرِينَ.

وَاه وَاهاً، والصَّبْرُ أَيْمَنُ وأَجْمَلُ، ولَوْ لَا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ لَجَعَلْتُ الْمُقَامَ واللَّبْثَ لِزَاماً مَعْكُوفاً، ولأَعْوَلْتُ إِعْوَالَ الثَّكْلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ، فَبِعَيْنِ الله تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً، وتُهْضَمُ حَقَّهَا، وتُمْنَعُ إِرْثَهَا، ولَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ، ولَمْ يَخْلَقْ مِنْكَ الذِّكْرُ، وإِلَى الله يَا رَسُولَ الله الْمُشْتَكَى، وفِيكَ يَا رَسُولَ الله أَحْسَنُ الْعَزَاءِ، صَلَّى الله عَلَيْكَ، وعَلَيْهَا، السَّلَامُ والرِّضْوَانُ»[1].

ولعل قوله -أيضاً- في معركة صفين والتي يلزم أن تقرأ بفتح الصاد، وذلك أنها بينت حقيقة واقع المسلمين وانقسامهم الى صفين، الأول: يسير

(١) الكافي للكليني: ج١ ص٤٥٩.

تحت لواء الخلافة التي تمخضت من سقيفة بني ساعدة فأنجبت أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد، ومروان بن الحكم، وابنائه، وهلم جراً لمن حكم المسلمين تحت عنوان الخلافة.

والثاني: يسير تحت لواء الإمامة المجعولة من الله تعالى، وتعيين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم من بعده: أولهم الإمام علي أمير المؤمنين، وآخرهم الحجة المهدي؛ الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً (صلوات الله وسلامه عليه، وعلى ابائه، وجدته المظلومة الشهيدة فاطمة) فهو الذي سيعيد الأمه الى الثقلين، ((كتاب الله وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))[1]. بعد أن فرقتها الخلافة الى فرق عدة.

وحسبك من هذه الفرق وحال قادتها وأئمتها وكبرائها وساداتها، ما رواه نصر بن مزاحم (المتوفى سنة ٢١٣هـ) في بيانه لأحداث معركة صفين ومجرياتها، فيقول:

(أن عليا مرَّ على جماعة من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبة[2]

---

(١) وهو الحديث المتواتر الذي أخرجه العديد من حفاظ المسلمين عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال: «اني تارك فيكم الثقلين أحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ينظر: مسند أحمد: ج٣ ص ١٤؛ سنن الترمذي: ج٥ ص ٣٢٨؛ فضائل الصحابة للنسائي: ص ١٥؛ مسند ابن الجعد: ص ٣٩٧ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٧ ص ٤١٧ منتخب مسند عبد بن حميد: ص ١٠٨؛ ما روي في الحوض للقرطبي: ص ٨٨.

(٢) الوليد بن عقبة: بن أبي معيط بن أبي عمرو القرشي، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وعنه أبو موسى عبد الله الهمداني وعامر الشعبي وحارثة بن مضرب. أسلم

وهـم يشتمونه ويقصبونـه[١] فأخـبروه بذلـك، فوقـف في نـاس مـن أصحابـه فقـال:

«انهـدوا إليهـم وعليكـم السـكينة وسـيما الصالحـين ووقـار الإسـلام، والله لأقـرب قـوم مـن الجهـل بـالله عـز وجـل قـوم قائدهـم ومؤدبهـم معاويـة، وابـن النابغـة[٢]، وأبـو الأعـور السـلمي[٣] وابـن أبي معيـط[٤]، شـارب الحـرام، والمجلـود

يـوم الفتـح. مـات أيـام معاويـة بـن أبي سـفيان. «تهذيـب التهذيـب: ١١/ ١٤٢».كان الوليـد بـن عقبـة أخـا عثمان لأُمّـه وكان عاملـه عـلى الكوفـة، فصلَّى بهـم الصبـح ثـلاث ركعـات وهـو سـكران، ثـم التفـت إليهـم فقـال: إن شـئتم زدتكـم. «العقـد الفريـد: ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧ طبـع دار الكتـاب العـربي».

(١) القصب: العيب والشتم، ومثله التقصيب.

(٢) يعني عمرو بن العاص. واسم أمه «النابغة» وهي من بني عنزة.

(٣) أبـو الأعـور السـلمي: اسـمه: عمـرو بـن سـفيان مـن أعيـان أصحـاب معاويـة قـال ابـن الأثـير في «أسـد الغابـة»: ٤، ١٠٩ و ٥، ١٣٨ وعليـه كان مـدار الحـرب بصفـين، وكان أشـد مـن معاويـة عـلى عـلي بـن أبي طالـب [عليـه السـلام]، وكان عـلي يدعـو عليـه في القنـوت. وقـال: لا تصـح لـه صحبـة ولا روايـة شـهد حنينـا كافـرا ثـم أسـلم وحديثـه عـن النبـي (صـلى الله عليـه [وآلـه]و سـلم) مرسـل: إنـما أخـاف عـلى أمتـي شـحّا مطاعـا، وهـوى متبعـا، وإمامـا ضـالًا. وكان مـن أصحـاب معاويـة. كـذا ذكـره ابـن أبي حاتـم، لم يجعـل لـه صحبـة، وهـو الصـواب، وذكـره هنـاك كثـير. روى عنـه عمـرو البـكالي. (الإسـتيعاب، ابـن عبـد الـبر: ٣/ ١١٧٨).

(٤) عقبـة بـن أبي معيـط: هـو الملعـون الـذي فـرق سـلا الجـزور أو البعـير عـلى ظهـر النبـي فدعـا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) وفاطمـة (عليهـا السـلام) عليـه، شـهد هـو مـع عـمار بـن الوليـد وأبي بـردة بـن موسـى وعبـد الرحمـن بـن أشـعث عنـد معاويـة عـلى إراقـة دم حجـر بـن عـدي. وهـو والـد الوليـد، ومـن أتبـاع معاويـة يـوم صفـين. ذمـه أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) بأنـه شـارب الخمـر والمجلـود حـدا في الاسـلام. وهـو مـن الذيـن رفعـوا المصاحـف. (ينظـر: مسـتدركات علـم رجـال الحديـث، الشـيخ عـلي النـمازي الشـاهرودي: ٥/ ٢٤٥).

حدا في الإسلام وهم أولاء يقومون فيقصبونني، ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام.

فالحمد لله ولا إله إلا الله، وقديما ما عاداني الفاسقون. إن هذا هو الخطب الجليل. إن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة فأشربوا قلوبهم حب الفتنة، فاستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، وقد نصبوا لنا الحرب، وجدوا في إطفاء نور الله (والله متم نوره ولو كره الكافرون).

اللهم فإنهم قد ردوا الحق فافضض جمعهم، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت»[1].

وعليه:

فقد نصبوا الحرب لفاطمة وعلي وولدهما (سلام الله عليهم أجمعين) واشياعهم ومواليهم مذ جمعوا الحطب عند بابها وحرقه، ولم يزالوا في خصامهم كابر عن كابر، وجيل بعد جيل، وما قول ابن عثيمين الا ثمرة من ثمار هذه الشجرة، ونتيجة من نتاج هذه العقيدة والمدرسة.

فكانت الغاية من هذه الدراسة بيان ما يلي:

١ـ إنّ المرتكزات المفاهمية لنصوص القرآن والسُنّة عند منظومة الخلافة لا سيما المدرسة التي أنتجت ابن عثيمين وهي الوهابية السلفية تعتمد على آليه

(١) وقعة صفين: ص٣١٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٨ ص٥٤-٥٥.

ألـواء عنق النص وتحييده عـن مقصده الشرعـي؛ كـما سيمر في عينة الدراسـة، أي خصومـة فاطمـة (عليهـا السـلام).

٢. إن مـا جرى مـن المخاصمـة بـين بضعـة النبـوة (سـلام الله عليهـا) وأبي بكـر قضيـة متجـددة بتجـدد المناهـج البحثيـة ووالسـائل المعرفيـة، فـما زال المسـلمون بأمـس الحاجـة الى معرفـة العلّـة في تفرقهـم الى ثـلاث وسـبعين فرقـة؛ وان الفرقـة الناجيـة مـن بـين هـذه الفـرق، هـي فرقـة واحـدة[١].

وهـو أمـرٌ انقـادت لـه الأعنـاق لثبوتـه عنـد جميـع هـذه الفـرق والمذاهـب، ولـذا: نجـد الجميـع ينسـب نفسـه وفرقتـه ومذهبـه ومدرسـته لهـذه (الناجيـة)؛ ومـن ثـم فمـن هـي الفرقـة الناجيـة، والقـوم مـا زالـوا يخاصمـون بضعـة النبـوة، وصفـوة الرسـالة، وسـيدة نسـاء العالمين، وسـيدة نسـاء الامـة، وسـيدة نسـاء أهـل الجنـة[٢]! فـأي أمـة هـذه التـي تعاهـدت عـلى مخاصمـة أسـيادها !! وأي جنّـة هـذه التـي تضـم فاطمـة وخصمائهـا، والناصبـين لهـا الحـرب الى يومنـا هـذا ؟!!!

٣. إنّ ممـا لا شـك فيـه أننـا بحاجـة الى البحـث العلمـي الرصـين، والدراسـة المتأنيـة، والسـليمة مـن الضغائـن والأهـواء فيـما وقـع بـين بضعـة النبـوة (عليهـا السـلام) وأبي بكـر وعمـر كـي يأمـن الإنسـان المسـلم عـلى نفسـه وأهلـه وذلـك امتثـالاً لقولـه تعـالى:

---

(١) المسـند للشـافعي: ص ٣١٦؛ صحيـح ابـن حبـان: ج١٤ ص ١٤١؛ مسـند أبي يعـلي الموصـلي: ج١٠ ص ٣١٧.

(٢) صحيـح البخـاري، بـاب: علامـات النبـوة: ج٤ ص ١٨٣؛ مسـند أحمـد: ج٥ ص ٣٩١؛ سـنن الترمـذي: ج٥ ص٣٢٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

٤ـ إن هذا المنع الذي وضعه الحكام وأرباب السلطة، وشدد عليه السلفيون، والوهابيون في دراسة ما شجر بين الصحابة والإمساك عنه، هو مخالف للقرآن والسُنّة وسيرة العلماء، ومنهجهم في البحث والدراسة، فضلاً عن حاكمية العقل والفطرة السليمة.

٥ ـ إن القائلين بدعوى الإمساك عما شجر بين الصحابة قد ابتغوا من ذلك وضع حصانة لأنفسهم، بغية الاستظلال بهذه الحصانة والانتفاع منها. فضلا عن إرضاء السلطان، واتباع الهوى، والانقياد للأنا، وإلاّ فهم أول من خالف هذه الدعوة؛ كما سيمر عبر هذه الدراسة.

٦ـ إن حديث «**لا نورث ما تركناه صدقة**» لم يزل الركن الأساس الذي يستند إليه أنصار منظومة الخلافة في المحاججات التي دارت وتدور بينهم وبين أنصار منظومة القرآن والعترة (عليهم السلام)؛ فكانت على النحو الاتي:

أ – فمن المحاجة في قراءة الحديث على الرفع عند اتّباع منظومة الخلافة. فقيل: «صدقةٌ» الى قراءته على النصب عند اتّباع منظومة القرآن والعترة (عليها السلام) فَقُرِءَ بلفظ: «صدقةً» وقد أفراد الشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه) رسالة في قراءة حديث «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» فرد الخبر والاستدلال به على نفي الإرث عن الأنبياء (عليهم السلام) عبر اظهار المغالطة في القراءة على الرفع.

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

ب - تمسك أهل السُنّة والجماعة بالحديث ودفاعهم عنه ومحاولتهم تدعيم آحاده، وترميم ألفاظه، وترقيع إعرابه.

ج - إصرارهم على المغالطة والمكابرة فيما شجر بين بضعة النبوة (عليها السلام) وأبي بكر وذلك عبر تخطأتها أو وسمها بأخذ ما ليس لها أو المغايرة في الدعوى، فضلا عن عينة الدراسة في نعت ابن عثيمين لها بعدم الإدراك والعقل!! والعياذ بالله من غضب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وغضب فاطمة (عليها السلام).

٧- دراسة جذور الخصومة بين ابي بكر وبيت النبوة في حياة رسول الله (صلة الله عليه وآله) وبعد وفاته وابراز مظاهرها وانعكاساتها بعد تسنم ابي بكر خلافة المسلمين فكان من ابرزها منع فاطمة (عليها السلام) من حقوقها.

٨- إن التعرض لبضعة النبوة وصفوة الرسالة (عليها الصلاة والسلام) قديماً وحديثاً هو تعرض لنواة أهل بيت النبوة وتكوينها ومن ثم فإن الدوافع إلى ذلك متعددة منها قصدية محاربة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وقد قال الله تعالى في بيان هذه الفئة: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ومنها: الجهل بفاطمة وشأنيتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلزم بيان هذه الشأنية في مقاصدية القرآن والسُنّة؛ ومنها: التكبل بقيود الموروث الفكري والعقدي الذي أسس له أرباب منظومة الخلافة وأشياعها إلى يومنا

هذا كما سيمر عبر عينة الدراسة.

٩- إن اعتماد هذه الدراسة على المنهج البيني كشف عن كوامن مقاصدية قول ابن عثيمين عبر المرتكزات الفكرية والمفاهيمية للمدرسة التي ينتمي إليها والتي لم تزل حاملة لواء المخاصمة لبيت النبوة متكئين على كونهم جزء لا يتجزء من أهل السنة والجماعة .

وعليه: ولاهمية الموضوع وسعة البحث والدراسة فيه فقد افردنا له كتابا مستقلا والموسوم بـــ: (ما أنكره أعلام أهل السُنّة والجماعة فيما شجر بين إبي بكر وفاطمة (عليها السلام) قراءة في الانساق الثقافية والعقدية في ضوء مقاصدية القران والسُنّة واللغة والتاريخ).

المسألة الثانية: من هو ابن عُثيمين خصم فاطمة (عليها السلام) في عصره ولماذا لم يمسك لسانه فيما شجر بين الصحابة ؟!

لعل أبرز المخاصمين لبضعة النبوة (عليها الصلاة والسلام) في عصره - وما اكثرهم في كل زمان ومكان - والداخلين فيما شجر بينها وبين أبي بكر، هو ابن عثيمين؛ فما الذي دعاه لهذا الخصام، ومن هو هذا الرجل؟ هذا ما سنتناوله في النقاط الآتية:

أولا- أسمه ونسبه[1].

(١) لمزيد من الاطلاع، ينظر: دراسة ترجيحات الشيخ محمد بن عثيمين من باب الجمعة الى نهاية كتاب الزكاة، إعداد الطالب فؤاد عبد القادر، كلية الشريعة - جامعة أم القرى، ص١٥- ١٩؛ لمحات من حياة الشيخ ابن عثيمين، تأليف متعب بن عبد الرحمن القبيسي؛ الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين عصام عبد المنعم المرّي، ط دار البصيرة - الإسكندرية.

محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة أحدى مدن القصيم في السعودية عام ١٩٢٩م، وعُثيمين تصغير عثمان وهو أسم لاحد أجداده فغلب على العائلة.

ثانياً ـ نشأته.

نشأ ابن عثيمين في أسرة متوسطة الحال، ولم تتيسر له سبل العيش الكريم، وقد وصف حاله بنفسه مبيناً قلة ذات اليد وأنه لا يملك إلا (الروض المربع يقرأ فيه في غرفة من طين تطل على زريبة بقر)[1].

ثالثاً ـ شيوخه ومراجعه اللذين تأثر بهم.

درس ابن عثيمين عند بعض شيوخ السلفية والوهابية إلا أن اكثرهم تأثيراً عليه فكراً ومنهجاً، هما:

١ـ ابن سعدي (١٨٨٩ - ١٩٥٦م).

وهو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، فلزمه ابن عثيمين أحد عشر عاماً، وهو بذاك يكون مرجعه الأول، فأخذ عنه التفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والنحو، والعقيدة؛ ولذا: فقد تأثر بمنهجه وفكره وعقيدته وطريقة تدريسه.

٢ـ ابن باز (١٩١٢ - ١٩٩٩م).

---

(١) كلمات في رثاء الشيخ محمد بن عثيمين، اعداد: محمد حامد محمد، ص١١٣ طبع ونشر دار الإيمان - الاسكندرية.

وهو: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وشهرته أكثر بكثير من ابن سعدي، وذلك لشغله منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢م والى وفاته، فضلا عن ترأسه لهيئة كبار علماء السعودية.

ولذا: يعده الوهابيون والسلفيون إمام عصرهم، وقد تأثر به ابن عثيمين فكرا وعقيدة ومنهجا، وقرأ عليه الصحيحين البخاري ومسلم.

رابعاً ـ عقيدته.

صرّح ابن عثيمين كما صرّح مشايخه لا سيما ابن سعدي وابن باز بعقيدته التي سار عليها محمد بن عبد الوهاب، والمعروفة بالوهابية نسبة لهذا الرجل على نحو الأخص، وعلى العقيدة السلفية على نحو الخصوص، وعلى العقيدة التيمية أي: ابن تيمية الحراني. على نحو الأعم، وعلى عقيدة أهل السُنّة والجماعة على نحو العموم، والتي ينتسب إليها اكثر المسلمين على اختلاف فرقهم، ونحلهم، ومللهم، وأراءهم، ومذاهبهم، وكلهم يدعي أنه (الفرقة الناجية).

ومن ثم: فلا عجب بخصامه واسلافه لفاطمة (عليها السلام) فهو وهابي، سلفي، تيمي.

خامساً ـ مذهبه.

أعتمد ابن عثيمين منهج شيخه ومرجعه الأول أبن سعدي في تبني أراء ابن تيمية وفتاويه، وتلميذه ابن القيم، وترجيحهما على أراء إمام المذهب الحنبلي الذي يتعبد به السلفيون، وهو بذاك يكون متبعاً سيرة ابن تيمية وفتاويه ومنهجه؛ وإنْ كان هذا الأمر لا يلقى أستحسانا من مشايخ الوهابية

المعاصرين، إذ يحاولون التمظهر بالإنتساب للمذهب الحنبلي، وصرف الأنظار عن كونهم على مذهب ابن تيمية فقها وعقيدة، وذلك لمواقفه المعادية لله ورسوله (صلى الله عليه واله) وأهل بيته، كما سيمر بيانه عبر الدراسة.

سادساً ـ مؤلفاته.

إن المتتبع لما طبع لابن عثيمين ومراجعته يجد أن أغلب هذا المطبوع من العنوانات هو في الأساس مشغول من قبل المؤسسة الوهابية عبر إلية جمع دروس ابن عثيمين وخطبه ومحاضراته المسجلة على (أشرطة الكاسيت) أو (الأقراص الصلبة والليزرية) ثم تفريغها على الورق وتعديلها وتصويبها، وإخراجها بهيئة الكتاب وطباعتها؛ ومما يدل على هذه الحقيقة:

١ـ إن مبدأ ابن عثيمين في التأليف كان يدفعه الى عدم الكتابة وقد صرّح بذلك حينما سئل عن التأليف، فأجاب:

«من ألّف فقد أُستهدف»[١].

ولذا:

كان يتجنب الكتابة والتأليف إلاّ ما ندر، كشرحه للعقيدة الواسطية وعرضها على شيخه ابن سعدي.

ويظهر من وصيته لطلبته واتباعه إن الدافع في كتابته وشرحه للعقيدة الواسطية هو حبه لابن تيمية، وعقيدته، وايمانه بها، فكان يسميه: بـ (كثير البركة)[٢].

---

(١) الدر الثمين، إعداد عصام المرّي: ص ٣٥٨.

(٢) كلمات في رثاء الشيخ ابن عثيمين، محمد حامد ص ٦٨.

ولا شك انه كان (كثير البركة) على ابن عثيمين فقد خاصم بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بفعل التاثر بهذه العقيدة.

٢ـ إنّ خير دليل على إتباعه هذا المبدأ في التأليف والكتابة، أي: كي لا يُسْتَهدَفْ فيما يَكْتُبْ، هو أن قوله في فاطمة (عليها السلام) في شرحه على صحيح مسلم، والتعليق عليه، كان عبر الإلقاء وليس الكتابة، فقد قال:

(ولكن كما قلت لكم قبل قليل: عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل يدرك به ما يقول، أو يفعل، أو ما هو الصواب فيه؛ فنسأل الله أن يعفو عنها)!!!

وقوله: (ولكن كما قلت لكم قبل قليل) واضح الدلالة على أن شرحه لصحيح مسلم كان إلقاءاً ولم يكن تحريراً، مما يكشف عن إن كثيراً مما ينسب إليه من كتب هي جمع من دروس ومحاضرات من هنا وهناك، وليس تأليفاً وتحريراً بقلمه.

سابعاً ـ بعض آرائه وفتاويه.

إنّ أنتماء ابن عثيمين للمدرسة الوهابية نشاءة ودراسة حتى عدَّ من أهم رموزها المعاصرين، قد أوجب عليه، أي هذا الانتماء، عدم الانحراف عن مسار محمد بن عبد الوهاب، وابن القيم، وابن تيمية، في العقيدة والرأي والفتوى.

ومن ثم فإن آرائه وفتاويه كانت من رحم هذه الفرقة، لا سيما في التجسيم، والتشبيه؛ فهم يقاتلون ويقتلون في أثبات ان الله عز وجل -والعياذ بالله- عينين، ويدين، وهبوط، ونزول، وجلوس، وغيرها مما يرتبط بالتجسيم والتشبيه .

وأما التوسل بالأنبياء والأولياء، وشد الرحال الى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتبرك بأثاره، وغيرها؛ فهو مما عرفت به الوهابية، وجرت فيها بينهم وبين علماء المسلمين الكثير من الردود والمواجهة ابتداءاً من عصر التأسيس على يد ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والى يومنا هذا.

فقد أنبرى الكثير من علماء المسلمين لمواجهة هذا الركام من الفكر في إبعاد الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحريم شد الرحال لزيارته والتشرف بتقبيل أعتاب قبره؛ وحسبك من هذه الردود العلمية ما صنّفه إمام السُنّة والجماعة في وقته تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ) في كتابه الموسوم بـ (شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلم).

ولقد أثنى جملة من العلماء على هذا الكتاب ومنهجه العلمي في الرد على ابن تيمية، منهم:

١ـ أبو زرعة العراقي (ت ٨٢٦هـ).

قال في معرض ردوده على فتاوى ابن تيمية، ومنها فتوى الطلاق، وشد الرحال الى القبر النبوي، فيكتفي أبو زرعة في ذلك بقوله:

(وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة، وقد ردّ عليه فيهما معاً الشيخ تقي الدين السبكي، وأفرد ذلك بالتصنيف، فأجاد وأحسن)[1].

٢ـ أبو الصلاح الصفدي (ت ٧٦٤هـ).

فقد أنشد في كتاب الوافي، مثنياً ومادحاً ومثمناً، فقال:

---

(١) الأجوبة المرضية من الأسئلة المكية، أبو زرعة العراقي: ص ٩٦- ٩٨.

قــول ابــن تــيمية زخــرف   أتــى فــي زيارة خير الأنام

فجاءت نفوس الورى تشتكي   إلى خيرحبر وأزكى إمام

فــصنّف هــذا وداواهــم   فكان يقينا شفاء السقام[1]

٣ـ قال ابن حجر الهيثمي المصري (ت٩٧٣هـ) في بيان حال ابن تيمية وما صنفّه الحافظ السبكي في الرد عليه، قائلاً:

(ابن تيمية عبد خذله الله، وأضله، وأعماه، وأصمه، وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وبلاغه رتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية، والمالكية، والحنفية)[2].

ثم يظهر ابن حجر الهيثمي تقيّمه ورأيه وعقيدته في ابن تيمية، فيقول:

(والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن؛ بل يرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه: أنّه مبتدع، ضال، ومضل، جاهل، غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله؛ آمين)[3].

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي: ج٢١ ص ٢٥٦.
(٢) الفتاوى الحديثية لابن حجر: ص ١١٤ – ١١٥، ط دار المعرفة – بيروت.
(٣) المصدر السابق نفسه.

من هنا:

فإن ابن عثيمين في فتاويه وآراءه، وعقيدته، هو سنخ من ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، وابن باز، وغيرهم من أبناء هذه الفرقة.

إلا أن الذي أستوقني من هذه الآراء والفتاوى ما يلي:

ألف: فتوى تحريم إقامة اسبوع المولد النبوي وجواز اسبوع محمد عبد الوهاب!

سئل ابن عثيمين عن الفرق بين ما يسمى باسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب، والإحتفال بالمولد النبوي حيث ينكر على فعل الثاني دون الأول؟

أي: إن الوهابية والسلفية ينكرون على أهل السُنّة والجماعة احتفالهم بمولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرحتهم بهذه المناسبة، وإنشاد المديح في سيد الخلق، والاطعام، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين، على الرغم من رفع الوهابية شعارًا بكونهم من أهل السُنّة والجماعة.

في حين أن الوهابية لا ينكرون على أتباعهم، وأبناء فرقتهم، إقامة أسبوع في نشر آراء مؤسس الفرقة محمد بن الوهاب وعقيدته!!!

والعلة في هذا الفرق بينهما، أي بين تحريمهم اسبوع المولد النبوي وبين اسبوع محمد عبد الوهاب، كما يقول ابن عثيمين:

(الفرق بينهما من وجهين:

(الأول: إن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخذ تقربا الى الله عز

وجل، وانما يقصد به إزالة شبهة في نفوس بعض الناس في هذا الرجل ويبين **(ما منَّ الله به على المسلمين على يد هذا الرجل)**.

الثاني: أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يتكرر ويعود كما تعود الأعياد، بل هو أمر بين الناس وكتب فيه ما كتب، وتبين في حق هذا الرجل ما لم يكن معروفاً من قبل الكثير من الناس، ثم انتهى أمره)[1].

ونقول:

١ـ إنّ هذه الفتوى لا تحتاج الى مزيد من التدليل على تمسك ابن عثيمين بعقيدة ابن تيمية في محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث تحرم أقامة الاحتفال والسرور بميلاد خير خلق الله وسيد أنبيائه ورسله، وتبيح أقامه سبعة أيام لمؤسس الحركة الوهابية ووصفه بانه **(منّة الله)** على المسلمين وهو يعلم أن المنّة التي منَّ اللهُ بها على الخلق هي بعثه لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)!! وليس إمامه وشيخه محمد بن عبد الوهاب.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

ولكن لا غرابة في قول ابن عثيمين فهو مفتون بإمامه ابن عبد الوهاب فعدّه منّة من الله عليه وعلى أبناء هذه الفرقة.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج١٦ ص ١٩٤، برقم (١٣١٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[1].

٢ـ ولكن ثمة سؤال: مَنْ هو الأولى بتخصيص أسبوع للكتاب والحديث والتعليم وكشف الشبهات أهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم شيخ الوهابية؟!

باء: تحريم إقامة اسبوع المساجد.

إن من الغرابة إن يُسأل ابن عثيمين عن حكم الشريعة في إقامة أسبوع المساجد، وأسبوع الشجرة وغيرها؟

فيجيب قائلاً:

(هذه الأسأبيع لا أعلم لها أصلاً في الشرع، وإذا اتخذت على سبيل التعبد وخصصت بأيام معلومة تصير كالأعياد، فأنها تلتحق بالبدعة...)[2]!!!

والسؤال المطروح:

أ ـ أين الأصل الشرعي في أقامة الوهابية لأسبوع شيخهم محمد بن الوهاب؛ لماذا لم يدّلنا عليه المفتون به ابن عثيمين؟ فإما أن يكون عالماً فدَّلس على الناس وأظلهم فأحل لهم ما حرّم الله، وأما جاهلاً فأظلهم بجهله.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٣.

(٢) مجموع فتاوي ورسائل ابن عثيمين: ج١٦ ص ١٩٥، رقم الفتوى: (١٣١٣).

ب ـ وما هو حكم من يتخذ هذا الأسبوع، أي: أسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب من أتباع الوهابية على سبيل التعبد (لان الله منّ به عليهم) أفيكونوا بهذا الأسبوع مبتدعون؟!

ج ـ ولماذا أعرض عن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما: «**الخديعة في النار ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

أفهل كان أسبوع شيخ الوهابية على أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!

ثامناً ـ موقفه مما حصل بين الصحابة ولماذا ناقض نفسه ولم يصدق في الدعوة إلى الإمساك عما شجر بينهم.

يذهب ابن عثيمين الى ما ذهب إليه أشياخه من الوهابية والسلفية في الدعوة الى الإمساك فيما شجر بين الصحابة، والقول بحرمة الدخول، ووجوب الإمساك.

فيقول في شرح عقيدة إمامه ابن تيمية فيما شجر بين الصحابة:

(فهذا الذي حصل موقفنا نحن منه له جهتان: الجهة الأولى: الحكم على الفاعل؛ والجهة الثانية: موقفنا من الفاعل.

أما الحكم على الفاعل؛ فقد سبق، وأن ما ندين الله به أن ما جرى بينهم؛ فهو صادر عن اجتهاد، والاجتهاد إذا وقع فيه الخطأ، فصاحبه معذور مغفور له.

(١) صحيح البخاري، باب: لم يجوز الخيار: ج٣ ص ٢٤؛ وباب بيان خير الشهود، ج٥ ص١٣٢.

وأما موقفنا من الفاعل، فالواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم، لماذا نتخذ من فعل هؤلاء مجالاً للسب، والشتم، والوقيعة فيهم، والبغضاء بيننا، ونحن في فعلنا هذا إما آثمون، وإما سالمون، ولسنا غانمين ابداً.

فالواجب علينا اتجاه هذه الأمور، أن نسكت عما جرى بين الصحابة، وأن لا نطالع الأخبار أو التاريخ في هذه الأمور، إلا المراجعة للضرورة)[(١)].

ونقول:

١ـ أما الجهة الأُولى، أي الحكم على الفاعل، بانه صادر عن اجتهاد، وصاحبه معذور مغفور له.

فهذه هي الطامة الكبرى، وأنه ليضحك الثكلى، إذ جعل ما قام به الصحابي الشجري عبد الرحمن بن عديس البلوي[(٢)] والصحابي عمرو بن الحمق[(٣)].

في اقتحامهما بيت خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وضربه بشاخص، وقتله (مغفور لهما، معذوران فيه) فقد أجتهدا فأخطئا، وأما إذا كانا صائبين فلهما آجران.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ص ٦١٧ - ٦١٨، ط٢/ دار الثريا - السعودية - ١٩٩٦م.

(٢) ينظر في ترجمته: وانه ممن بايع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الشجرة، وكان قائد الفرسان الذين قدموا من مصر لمحاصرة عثمان وقتله: (الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص ٧١؛ الإصابة لابن حجر: ج٤ ص ٢٨١؛ الاستذكار لابن عبد البر: ج٢ ص ٣٨٩).

(٣) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣ ص ١١٧٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص٧١.

ولقد روى ابن سعد (ت ٢٣٠هـ): إن الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي (وثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال:

أما ثلاث منهن فإني طعنتهن لله، وأما ست فإني طعنته إياهن لما كان في صدري عليه)[١].

ومما لا شك فيه- وبناءا على فتوى ابن عثيمين واشياخه واسلافه- أن الصحابي عمرو بن الحمق قد أجتهد هنا، وهو بين أمرين: إما الصواب وأما الخطأ:

فإن كان قد أصاب في هذه الطعنات التي طعن بها عثمان بن عفان الأموي، لا سيما اجتهاده في الطعنات الثلاثة التي قال فيها (أنها لله) فيكون له أجران على اجتهاده، فضلاً عن النماء في النية التي كانت لله، فيضاعف الله فيها أجر العامل بعشرة أمثاله، فإن كل طعنة لعثمان بعشر عند الله.

وإن كان قد أُخطئ في الطعنات الستة (لما كان في صدره على عثمان) فهي مغفورة له، معذور فيها باجتهاده، فضلاً عن ان هذه الطعنات الست قد أذهبتها الطعنات الثلاثة التي كانت خالصة لله تعالى، وذلك لقوله عز وجل:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

ولا شك أننا هنا نلزم ابن عثيمين وأئمة الوهابية والسلفية بما ألزموا به أنفسهم في فتوى أثابة اجتهاد الصحابة في الخطأ والصواب، وبيان مخالفتها للقرآن وسُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، نعم هي موافقة لسُنّة الخلفاء و ابن تيمية .

---

(١) الطبقات: ج٣ ص ٧٤؛ أنساب الأشراف: ج٥ ص ٢٧٢.

٢ـ أما الجهة الثانية التي شرَّعها ابن عثيمين فنقول فيها:

لقد حكم ابن عثيمين بنفسه على نفسه، فهو في دخوله فيما شجر بين سيدة نساء العالمين وسيده نساء أهل الجنة (صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) وبين أبي بكر قد أصبح ملزماً بما شرّعه للناس، وان فتاواه ستأخذ بعنقه أولاً، فهو محكوم عليه بما يلي:

أ ـ قد خالف امراً واجباً، وذلك لقوله: (فالواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم).

ب ـ أتخذ من فعل فاطمة (عليها السلام) بهجرتها لأبي بكر (مجالاً للسب، والشتم، والوقيعة فيهم) وهذا قد فعله ابن عثيمين بعد أن نهى أبناء الفرقة الوهابية والسلفية عنه!!!

فقد وقع – والعياذ بالله مما قال – في سب بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشتمها، والوقيعة فيها) بقوله: في مخاصمتها لأبي بكر:

(عند المخاصمة لا يبقى للإنسان عقل!! يدرك به ما يقول!! أو يفعل!! أو ما هو الصواب فيه!! فنسأل الله أن يعفو عنها!! وعن هجرها خليفة رسول الله!!).

ج ـ أنه قد أوقع بهذا القول البذيئ البغضاء بين المسلمين، وبث الفتنة، وتأجيج نارها للاقتتال بينهم بهذه الفرية والوقيعة بين الصحابة وبين بيت النبوة (عليهم السلام).

د- إنّ ابن عثيمين بتطاوله وتجاوزه على بضعة النبوة وصفوة الرسالة (عليها السلام) ونعتها بهذه الكلمات هو آثم وغير غانم ولا سالم من عذاب الله، وانه قد حكم على نفسه بقوله للناس:

(ونحن في فعلنا هذا إما آثمون، وإما سالمون، ولسنا غانمين أبداً).

هـ- إنّ ابن عثمين قد بيّن العلة في موقفه هذا الذي جرّه للوقيعة والمخاصمة لبضعة النبوة (صلوات الله وسلامه عليها) فيقول:

(والواجب أن لا نطالع الاخبار أو التاريخ في هذه الأمور) فأبن عثيمين أوجب على نفسه عدم قراءة ما صنّفه علماء أهل السُنّة والجماعة في أخبار الصحابة وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقرأ أخبار الجرح والتعديل، وتراجم الرجال، لأنها غير ضرورية، وذلك أنها لم تصنّف على أيدي ابن تيمية، وابن عبد الوهاب، وابن باز، اللذين فُتن بهم.

فأصبح من المخاصمين لبضعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومما لا ريب ولا شك فيه، سيكون هذا حال كل من أفتتن به وبأشياخه وأسلافه.

تاسعاً - مرضه ومعاناته من السرطان بين التسليم والتزكية.

لم تكن السنوات والشهور الأخيرة من حياة ابن عثيمين بالسهلة عليه، فقد عانى أشد المعاناة من مرضه الذي ابتلاه الله تعالى به، (فقد أصيب بالسرطان في بادئ الأمر في الأمعاء وتحديداً في المستقيم قبل أن ينتشر المرض في جميع بدنه.

والسبب في ذلك أنه كان يعتقد في بادئ أمره أنه يتألم من البواسير التي ابتلي بها قبل أكثر من عشرين سنة، فكان يظن أنها من جراء العمل الجراحي الذي أجري له حينها.

ولما أشتد عليه المرض ثقلت عليه الحركة، فكان يأخذ وقتاً طويلاً في الوضوء والأكل والصلاة، وفي آخر الأيام عندما كان في عنيزة ويؤم المصلين كان يحصل معه أثناء الصلاة (السلس)، فكان يقطع الصلاة ويقدم أحداً مكانه)[١].

ومن المواقف التي نقلها عنه معاصروه ومرافقوه أثناء مرضه وابتلائه بالسرطان أمورًا عدة، منها:

١ ـ إنّه لم يكن يسمي مرض السرطان بالمرض الخبيث، بل يسميه بالمرض الخطير، وكان يقول:

(ليس في أفعال الله خبيثا).

وكان يريد من ذلك دفع الاعتقاد بأن الله تعالى قد سلط عليه الخبيث تنزيهاً لنفسه؛ في حين رد عليه معاصروه: (فيه تأمل لإطلاق وصف الخبيث في القرآن والسُنّة على عدة أصناف من المخلوقات)[٢].

٢ـ تزكيته لنفسه:

إنه لما سمع من الأطباء بانه مصاب بالخبيث، أي: السرطان، قال:

---

(١) الدر الثمين: ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

(٢) الدر الثمين: ص ٣٧٢.

(إن الإنسان المؤمن إذا قام بطاعة الله، وفعل أوامره، واجتنب نواهيه فإنه لا يرجو بذلك إلا رحمة الله ودخول الجنة، لا يمكن أن يصل الإنسان الى الجنة إلا بالموت؛ والموت قد كتب على جميع البشرية، فمرحباً بالموت، إذا كان الموت هو الذي بيننا وبين الجنة)[١] .

وهنا قد حكم ابن عثيمين على نفسه وزكاها وعدد صفاته من (الإيمان، وطاعة الله، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه) ثم يختم قوله: (فمرحبا بالموت، أذا كان الموت هو الذي بيننا وبين الجنة)!!

فليس بينه وبين الجنة سوى الموت، فلا حساب، ولا ميزان، ولا جواز على الصراط، ولا عرض على حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وغيرها من منازل الآخرة لا سيما البرزخ وسؤال منكر ونكير، مما يطول ذكره؛ فقد غفل ابن عثيمين عن أن قبول الاعمال أو ردّها بيد الله وحده؛ ويكفي في ذاك نهياً عن تزكية المرء لنفسه قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢].

وقال سبحانه:

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٣].

وغيرها من الآيات والأحاديث النبوية الناهية عن تزكية المرء لنفسه.

(١) الدر الثمين: ص ٣٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

٣- بل أن ابن عثيمين كان يرى في لحيته قدراً؛ ولذا لم يرض أن يتعالج من الخبيث بالجرعات الكيمياوية وذلك لقولهم: أنها تسقط الشعر، فقال:

(لا أحب أن ألقى ربي بلا لحيتي)[١].

دون أن يرجع فتواه ورأيه إلى القرآن أو السنّة النبوية! فمنذ متى كانت اللحى موضع تقرب الى الله تعالى، أو أنّه سبحانه ينظر الى اللحى دون صحيفة الإنسان، وما ذنب من لم ينبت الله له لحية فكيف سيلقى الله تعالى؟!! وما تصنع اللحى والناس يحشرون حفاة عراة، فعن ابن عباس قال: خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال:

«**إنكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلاً**، ثم قرأ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ – الى أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**إلا أنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** .

فيقال:

إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[٢].

---

(١) جريدة الوطن السعودية، العدد، ١٠٥؛ الدر الثمين: ص ٣٧٧.

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع من الصحيح، منها: كتاب بدء الخلق، ج٤ ص ١١٠، وكتاب تفسير القرآن: ج٥ ص ١٩١، وكتاب الرقاق: ج٧ ص ١٩٥؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد عبد الرزاق الدويش: ج٣ ص٧٥.

والحديث يشير الى مسألة مهمة، وهي أن البخاري رواه في صحيحه، وقرأه ابن عثيمين على شيخه ابن باز، لكنه لم يسأله عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**فأقول يا رب أصحابي؟! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

ولعل ابن عثيمين سأل شيخه بن باز عن هؤلاء الصحابة الذين أحدثوا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يزالوا مرتدين! لكنه لم يدري بماذا يجيبه، والصحابة عنده (كلهم عدول)؟!.

وهكذا هي الأمور عند ابن عثيمين، وابن باز، وابن عبد الوهاب، وابن تيمية، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم في تزكية الأنفس، وتكفير من يخالفهم المعتقد والرأي، وذلك أنهم يحبون أن يلاقوا الله عز وجل باللحى!! وليس بحب فاطمة وعلي وولدهما (عليهم السلام) مع علمهم بوجوب مودتهم وأتباعهم ونصرهم لا مودة وأتباع من أحدثوا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يزالوا مرتدين منذ فارقهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما صرَّح بذلك النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبر أمته، ويخرجه جل حفاظ المسلمين في كتبهم لا سيما البخاري ومسلم وأحمد.

وعليه:

يتضح أنه ليس بالأمر الغريب بعد هذا الحديث النبوي أن يصف ابن عثيمين بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دفاعها عن حقها بأرض فدك، وسهم ذي القربى، وميراثها المغصوب المنهوب، بأنها - والعياذ بالله مما يقولون - (ليس لها عقل)!!!

عاشرا ـ وفاته وما شوهد عند احتضاره وعلاقة ذلك بالمولاة لآل البيت (عليهم السلام).

ليس من المستغرب أن ينتهي الحال بابن عثيمين بعد معاناة طويلة مع المرض الخبيث الذي أكل معظم بدنه أن تتدهور حاله، لينقل الى المستشفيات فيقضي فيها أيامه وساعاته الأخيرة.

إلا أن هناك ثمة أمور شاهدها من حضر عنده في هذه الأيام التي انتقل بعدها الى الله عزَّ وجل، وهي:

١ ـ حاله عند الاحتضار والنزع للروح.

فقد قيل: (إنه كان ينازع الموت لأربع ساعات، من الساعة الواحدة وحتى الساعة السادسة الا خمس دقائق، حيث بدا عليه التعب الشديد، وبدأ العرق يخرج منه، وكأنه يشعر بشيء ويحرك أصبعه وشفتيه، وكان الأوكسجين موضوعاً في فمه الى أعلى درجته، ولكن مع ذلك كان لديه هبوطاً في الأوكسجين، مما أستدعى حضور الأطباء الذين أخبروا ذويه بأنه في حالة خروج الروح)[1].

٢ـ عدم القدرة على أغلاق فمه بعد خروج روحه.

من الشواهد التي نقلت من احتضاره ووفاته: (إن فمه كان مفتوحاً ظاهرة أسنانه، فحاول أبنه عبد الرحمن ومن حضر معه قفل فمه لمدة نصف ساعة، ومع ذلك لم يستطيعوا، فترك فمه مفتوحاً)[2].

(١) الدر الثمين لعصام عبد المنعم المري: ص ٣٩٤.
(٢) المصدر السابق.

٣- إن أبنائه لم يقيموا عليه التعزية واكتفوا بقبول التعازي عبر الهاتف، وذلك أن ابن عثيمين كان يرى عدم الجلوس للتعزية فلم يقم العزاء عند موت والديه، فسار أبنائه على نهجه فلم يقيموا العزاء على أبيهم[1].

وقد توفي يوم الأربعاء في الخامس عشر من شوال (لعام ١٤٢١هـ) عن عمر مقداره أربعة وسبعين عاماً، ودفن بالقرب من شيخه ابن باز لا يفصل بينهما سوى بضع خطوت[2].

وهنا لنا بعض الملاحظات وذلك أننا نخوض غمار البحث في مسألة عقدية في غاية الأهمية، فنقول:

ألف - انكشاف الحقائق للإنسان عند الموت.

وهذه المسألة العقدية دلّ عليها القرآن والسُنّة، وهي كالاتي:

١- يظهر القرآن هذه الحقيقة في جملة من الآيات، منها:

أ- قال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

ب- وقال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ

---

(١) الدر الثمين: ص ٣٩٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

يُبْعَثُونَ﴾[١].

جـ. وقال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[٢].

د. قوله تعالى ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٣].

وقد روى الفقيه المفسر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جملة من الروايات في بيان الآية فكان منها، أنه قال:

(يعني بذلك جلَّ ثناؤه: (وليست التوبة) للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله ﴿**حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**﴾ يقول أحدهم إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه، قال: وقد غلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته ﴿ **إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾ فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة)[٤].

وروى عن الربيع: أن قوله تعالى:

(**ولسيت التوبة للذين يعملون السيئات**) نزلت في المنافقين؛ وقد ذهب الثوري الى إنها في أهل المعاصي وليست في المنافقين للتفريق بينهم وبين

(١) سورة المؤمن، الآية: ٩٩.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٤) تفسير الطبري: ج٤ ص ٤٠١.

الكفار بلحاظ ان المنافقين هم كفار ايضاً.

وهذا القول لا يصمد إمام بيان القرآن لحال فرعون الذي أدركه الغرق فقال الان آمنت، قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1].

وعليه:

يتضح أنها في أهل النفاق فهم لا توبة لهم عند حضور الملائكة لنزع أرواحهم، ويتضح أيضاً حقيقة المشاهدة للملائكة، واختلاف حال الميت بما يراه من الشدة أو التخفيف في نزع روحه من عروق بدنه، بين كونه مؤمناً، فيّهون عليه النزع، وبين كونه منافقاً أو كافراً فيشدد عليه.

٢ـ ولم يكن القرآن هو الوحيد الذي بينّ للناس هذه الحقيقة، بل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لأزواجه ذلك أيضاً، فمما أخرجه البخاري وأحمد في ذلك، ما يلي:

أـ أخرج البخاري، عن عبادة بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

«من أحب لقاء الله، أحب الله لقائه؛ ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»

قالت عائشة، أو بعض أزواجه:

إنا لنكره الموت؟

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠ – ٩١.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ليس ذلك، ولكن المؤمن أن أحضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه

وأن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه»[1].

ب ـ وأخرج أحمد بن حنبل عن يونس، عن الحسن، عن عائشة، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أحب لقاء الله، أحب الله لقائه، ومن كره لقاء الله عز وجل، كره الله لقاءه».

فقالت عائشة:

يا رسول الله، كراهية لقاء الله أن يكره الموت، فوالله أنا لنكرهه؟

فقال:

«لا، ليس بذلك، ولكن المؤمن إذا قضى الله عز وجل قبضه فرَجَ له عما بين يديه من ثواب الله عز وجل وكرامته، فيموت حين يموت وهو يحب لقاء الله عز وجل، والله يحب لقاءه، وان الكافر والمنافق إذا قضى الله عز وجل قبضه فرج له عما بين يديه من عذاب الله عز وجل وهوانه فيموت حين يموت وهو يكره لقاء الله، والله يكره لقاءه»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ج٧ ص ١٩١.
(٢) مسند أحمد، حديث عائشة: ج٦ ص ٢١٨.

باء - رؤية المسلم للنبي (صلى الله عليه وآله) ووصيه الإمام علي (عليه السلام) في الاحتضار ونزع الروح.

إن من الحقائق التي نص عليها القرآن والسُنّة في احتضار المسلم، أي حينما تحضره الملائكة لقبض روحه، أنّه يبشر بأحد أمرين، إما أنه يبشر برضوان الله وكرامته فيحب لقاء الله تعالى، وأما يبشر بعذاب الله وعقوبته؛ فيكره لقاء الله، كما مرّ بيانه آنفاً فيما رواه البخاري، عن عائشة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن عائشة لم تسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مَن الذي يُبشر المحتضر، أهي الملائكة، أم ملك الموت عزرائيل (عليه السلام) أم أعوانه، أم النبي ووصيه علي(صلوات الله وسلامه عليهما)؟!

أو لعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرها لكنها كرهت ذكر علي (عليه السلام)، وهو أمر عرُف عنها واشتهرت به،لا سيما في أخبارها عن خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الصلاة في أيام مرضه، وقبل وفاته لما سمع بأن أبا بكر يصلي بالناس، فخرج محمولاً يتهادى بين رجلين أحدهما العباس[1].

فهنا لم تكشف عائشة عن أسم الشخص الثاني فذكرت العباس فقط، في حين يظهر عبد الله بن عباس السبب الذي منع عائشة من ذكر الشخص الآخر، الذي أستند إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خروجه الى المسجد، فيقول: (أ تدرون من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ هو علي!

---

(١) صحيح البخاري، باب: أهل العلم والفضل، ج١ ص ١٦٩.

ولكن عائشة لا تطيب له نفساً!!)[١].

إلّا أن ما لا تطيب له عائشة نفسا!! ذكرته الروايات الواردة عن الذين خرج بهم النبي (صلى الله عليه واله) لمباهلة نصارى نجران على صدق دعوته ونبوته.

فضلا عن ذكر بعض أعلام أهل السُنة والجماعة لهذه الحقيقة؛ فلقد تضافرت النصوص الواردة عن ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأصغر، وهم عترته أهل بيته (عليهم السلام) أن رسو ل الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) يحضرون عند حضور ملائكة الموت لنزع الأرواح من الأبدان.

وهذه الحقيقة وإن كان ابن تيمية ومن أخذ بحجزته، وسار على عقيدته لا يؤمنون بها إلا أنها لا تغير من الحقيقة شيئاً فما بعد الحق وهدي القرآن وعترة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلّا الضلال، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

ومن هذه النصوص الشريفة، ما يلي:

أ- أخرج الشيخ الكليني (عليه الرحمة والرضوان) (ت ٣٢٩ هـ) بسنده عن علي بن عقبة، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام):

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص ٢٢٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

«يَا عُقْبَةُ لا يَقْبَلُ الله مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَذَا الأَمْرَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْه ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرُّ بِه عَيْنُه إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُه إِلَى هَذِه»

ثُمَّ أَهْوَى بِيَدِه إِلَى الْوَرِيدِ، ثُمَّ اتَّكَأَ وكَانَ مَعِيَ الْمُعَلَّى فَغَمَزَنِي أَنْ أَسْأَلَه فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ الله فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُه هَذِه أَيَّ شَيْءٍ يَرَى؟ فَقُلْتُ لَه بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً أَيَّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ فِي كُلِّهَا «**يَرَى**» ولا يَزِيدُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جَلَسَ فِي آخِرِهَا فَقَالَ:

«**يا عُقْبَةُ**»! فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ فَقَالَ: «**أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ**»؟ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ الله إِنَّمَا دِينِي مَعَ دِينِكَ فَإِذَا ذَهَبَ دِينِي كَانَ ذَلِكَ؛ كَيْفَ لِي بِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ الله كُلَّ سَاعَةٍ، وبَكَيْتُ فَرَقَّ لِي فَقَالَ:

«**يَرَاهُمَا والله**» فَقُلْتُ بِأَبِي وأُمِّي مَنْ هُمَا قَالَ:

«**ذَلِكَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعَلِيٌّ (عليه السلام) يَا عُقْبَةُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ أَبَداً حَتَّى تَرَاهُمَا**»، قُلْتُ: فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنُ أَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا؟ فَقَالَ:

«**لَا، يَمْضِي أَمَامَه إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا مَضَى أَمَامَه**» فَقُلْتُ لَه: يَقُولَانِ شَيْئاً؟ قَالَ:

«**نَعَمْ يَدْخُلَانِ جَمِيعاً عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَيَجْلِسُ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عِنْدَ رَأْسِه وعَلِيٌّ (عليه السلام) عِنْدَ رِجْلَيْه فَيُكِبُّ عَلَيْه رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ الله أَبْشِرْ أَنَا رَسُولُ الله، إِنِّي خَيْرٌ لَكَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَنْهَضُ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فَيَقُومُ عَلِيٌّ (عليه السلام) حَتَّى يُكِبَّ عَلَيْه، فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ الله أَبْشِرْ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّه، أَمَا لأَنْفَعَنَّكَ**».

ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ**»، قُلْتُ: أَيْنَ جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «**فِي يُونُسَ، قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ هَاهُنَا** :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾»[١].

ب ـ أخرج الكليني بسنده، عن سعيد بن يسار، أنه حضر أحد أبني سابور وكان لهما فضل، وورع وإخبات، فمرض أحدهما وما أحسبه إلا زكريا بن سابور قال: فحضرته عند موته، فبسط يده ثم قال:

(أبيضت يدي يا علي)! قال : فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) و عنده محمد بن مسلم، قال: فلما قمت من عنده ظننت أن محمدا يخبره بخبر الرجل، فأتبعني برسول فرجعت إليه فقال:

«**أخبرني عن هذا الرجل الذي حضرته عند الموت، أي شيء سمعته يقول**»؟ قال: قلت بسط يده ثم قال: أبيضت يدي يا علي، فقال أبو عبد الله (عليه السلام):

«**والله رآه، والله رآه، والله رآه**»[٢].

ج ـ وروى حسين بن سعيد الكوفي (ت ٣٠٠هـ) وغيره عن عبد الرحيم القصير، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): حدثني صالح بن ميثم عن عباية الأسدي، أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول:

---

(١) الكافي للكليني، باب: ما يعاين المؤمن والكافر: ج٣ ص ١٢٨ - ١٢٩.
(٢) الكافي، باب: ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت: ج٣ ص ١٣٠ -١٣١.

«والله لا يبغضني عبد أبداً فيموت على بغضي إلّا رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبني عبد أبدًا فيموت على حبي إلّا رآني عند موته حيث يحب»، فقال ابو جعفر (عليه السلام): **«نعم، ورسول الله باليمين»**[1].

د- أخرج الشيخ المفيد والشيخ الطوسي (عليهما الرحمة والرضوان) في أماليهما، قدوم الحارث الهمداني على أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) فكان مما جرى بينهما من الحديث، أنّه (عليه الصلاة والسلام) قال للحارث:

«أبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة».

قال الحارث:

وما المقاسمة يا مولاي؟

قال: **«مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة؛ أقول: هذا وليي فاتركيه، وهذا عدوي فخذيه...»**[2].

ولشهرة الحديث بين أتباع آل البيت (عليهم السلام) فقد أنشد السيد الحميري (عليه الرحمة والرضوان) في ذلك فيقول:

---

(١) الزهد، لحسين بن سعيد الكوفي: ص ٨٣؛ الكافي للكليني: ج٣ ص ١٣٢؛ الفصول المهمة للحر العاملي: ج١ ص ٣٠٥.

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ص ٧؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٢٧؛ المختصر لحسن بن سليمان الحلي: ص٦٤؛ كشف الغمة للآربلي: ج٢ ص ٣٩.

قــول علــي لحــارث عجــب — كـم ثـم أعجوبة لـه جـملا

يا حـار همـدان من يمت يرنـي — مـن مـؤمـن أومنافـق قبـلا

يعـرفـنـي طــرفـه وأعــرفـه — بنعتـه واسـمه ومـا فعـلا

وأنـت عـنـد الصـراط تعرفـني — فــلا تـخـف عـثـرة ولا زلـلا

أسقيك من بـارد على ظمـأ — تـخالـه فـي الحـلاوة العسـلا

أقول للنار حين تعرض للعرض — دعـيـة لا تـقـربـي الرجـلا

دعــيـه لا تـقـر بيـه إن لـــه — حبـلا بـحبل الـوصي متـصلا[1]

هـ - ولشهرة الحديث عند أهل السُنّة والجماعة فقد واجهوه بثلاثة أمور، وهي:

الاول: إنكار الحديث على الرغم من صحته وشهرته بين أهل السُنّة لكنهم أبت نفوسوهم إلا الإصرار على محاربة الحديث بشتى الطرق، ومنها أنكار الحديث وهو ما أثار استغراب إمام المذهب الحنبلي، فعن محمد بن منصور، قال:

(كنّا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في هذا الحديث الذي يروى،أن عليا قال:

(أنا قسيم النار) ؟!

---

(١) الأمالي للمفيد: ص٧؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣ ص ٣٤.

فقال: وما تنكرون من ذا أليس روينا عن النبي (صلى الله عليه واله) قال لعلي :

(**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**)؟!! قلنا: بلى.

قال فاين المؤمن ؟ قلنا في الجنة؛ قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار

قال: فعلي قسيم النار)[1].

الثاني: تضعيف الحديث فبعد أن سمعوا من إمام المذهب الحنبلي والذي عُرف بتشدده على الرافضة إلا أنه لم يستطع أن ينكر صحة الحديث، ولذا أشار الى نكارة السائل للحديث؛ واستدل عليه بما هو أعظم على نفسه ونفوس الحاضرين بما لا يمكن أنكاره فأثبت لهم صحة أن عليا (عليه الصلاة والسلام) : قسيم النار والجنة

ولذا: عمدوا الى تضعيف كلا من موسى بن طريف الأسدي، وعباية بن ربيع الأسدي الذي سمع أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) يقول:

«**أنا قسيم النار هذا لي وهذا لك**».

الثالث: إعلان الحرب على الأعمش الذي سمع الحديث عن موسى بن طريف الأسدي، عن عباية، عن علي (عليه السلام)، فقد لاقى الأعمش من معاصريه من أهل السُنّة والجماعة حربا ضروسا كادت أن تقضي على حياته!! وذلك أنه اخذ يحدث الناس بقول الإمام علي (عليه السلام): أنا قسيم النار.

(١) طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى: ج١ ص٣٢٠

والعلة في هذه الحرب يكشفها عيس بن يونس فيقول:

(مارايت الأعمش غضع إلا مرة واحدة، فانه حدثنا بهذا الحديث، قال علي (أنا قسيم النار) فبلغ ذلك أهل السُنّة فجائوا أليه فقالوا: أتُحدِّث باحاديث تقوي بها الروافضة والزيدية والشيعة؟

فقال: سمعته فحدثت به.

فقالوا: فكل شيء سمعته تحدث به ؟!! قال: فرأيته خضع ذلك اليوم)[١] .

والحديث لا يحتاج الى مزيد من البيان في ممارسة التدليس والتعتيم والتضليل والاخفاء والاقصاء لثقل النبي (صلى الله عليه واله) الأصغر في أمته.

هذه الأمة التي تعاهدت على تغيير سُنّته أذا عملت بها شيعة أهل بيته (عليهم السلام) وما قول ابن تيمية عن ذاك ببعيد، أذ يقول في حكم السُنّة النبوية في تسطيح القبور والنهي عن تسنيمها:

(ومن هنا أفتى بعض فقهاء أهل السنّة بترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم، أي للشيعة فانه وان لم يكن الترك واجبا لذلك، لكن في أظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي)[٢].

وقال الرافعي: (التسنيم أفضل مخالفة لشعار الروافض)[٣].

ورد الحافظ النووي على هذا التحامل على الشيعة الرافضة واتخاذه شعارا

(١) ضعفاء العقيلي: ج٣ ص٤١٦؛ لسان الميزان لابن حجر: ج٣ ص٢٤٧.
(٢) منهاج السُنّة: ج٢ ص١٤٣ .
(٣) فتح العزيز: ج٥ ص٢٢٤.

في ترك الواجبات والسنن النبوية فيقول: (ورد الجمهور على ابن أبي هريرة في دعواه أن التسنيم أفضل لكون التسطيح شعار الرافضة. فلا يضر موافقة الرافضي لنا في ذلك ولوكانت موافقتهم لنا سببا لترك ما وافقوا فيه، لتركنا واجبات وسُننا كثيرة)[1].

والسؤال المطروح:

ماذا شاهد ابن عثيمين عند احتضاره، وماذا شاهد غيره من أسلافه الذين تعاهدوا على مخاصمة بضعة النبوة وصفوة الرسالة، بعد هذه الحقيقة التي دلَّ عليها القرآن والسُنّة، وماذا قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وماذا قال لأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) بعد اشتراكه في خصومة فاطمة (عليها الصلاة والسلام)؟!

لا شك أن الإجابة على هذه التساؤلات أضمرتها - أن لم تكن قد صرّحت بها - تلك الساعات الأربعة التي قضاها في الاحتضار فتنتهي بفمه المفتوح الذي عجز عن أقفاله الحاضرون.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

المسألة الثالثة: مصطلحات الدراسة، ونوعها، ومنهج البحث.

اشتملت الدراسة على بعض المصطلحات التي دارت في فلك بعض الحقول المعرفية، وهي على النحو الآتي:

(١) المجموع:ج٥ ص٢٦٩ .
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

أولاً – الخصومة.

عُرفت الخصومة اصطلاحاً: بالمنازعة، والجدل، وأصل المخاصمة: أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر: أي جانبه، وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب[1].

وهذا المعنى الاصطلاحي له نظائر عدة وردت في حقول معرفيه شتى، لا سيما اللغة والقرآن والفقه والاخلاق، وهي كالاتي:

١ـ الجدل والجدال والمجادلة.

الجدل: هو شدة الخصومة[2].

والمجادلة: المخاصمة والمدافعة، وقد ورد في الحديث:

«**ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا** ..» والمراد به الجدل على الباطل وطلب مغالبة[3].

قال الراغب: الجدال: المفارضة على سبيل المنازعة والمغالبة[4].

قال الشيخ المفيد (عليه الرحمة والرضوان):

(الجدال على ضربين: أحدهما بالحق، والآخر بالباطل، فالحق منه مأمور به ومرغّب فيه، والباطل منه منهي عنه ومزجور عن استعماله.

---

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية لمحمود عبد الرحمن: ج٢ ص ٣٣.
(٢) الصحاح للجوهري: ج٤ ص ١٦٥٣.
(٣) المصطلحات: اعداد مركز المعجم الفقهي: ص ٨٧٧.
(٤) غنائم الايام في مسائل الحلال والحرام، للميرزا القمي: ج٦ ص ٢٥٢.

قال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم):

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

فأمر بجدال المخالفين وهو الحجاج لهم، إذ كان جدال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقا، وقال تعالى لكافة المسلمين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

فأطلق لهم جدال أهل الكتاب بالحسن، ونهاهم عن جدالهم بالقبيح.

وحكى سبحانه عن قوم نوح – عليه السلام – ما قالوه في جدالهم فقال سبحانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[3].

فلو كان الجدال كله باطلا لما أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) به، ولا استعمله الأنبياء – عليهم السلام – من قبله، ولا أذن للمسلمين فيه.

فأما الجدال بالباطل فقد بيّن الله تبارك وتعالى عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[4].

فذم المجادلين في [آيات الله] (٥) لدفعها أو قدحها (٦) وإيقاع الشبهة في حقها.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٢.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٩.

وقد ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم - عليه السلام - أنه حاج كافرا في الله تعالى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[١].

وقال مخبرا عن حجاجه قومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾[٢].

وقال سبحانه آمرًا لنبيه (صلى الله على وآله وسلم) بمحاجة مخالفيه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[٣].

وقال لنبيه (صلى الله على وآله وسلم): ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٤].

وما زالت الأئمة -(عليهم السلام)- يناظرون في دين الله سبحانه ويحتجون على أعداء الله تعالى. وكان شيوخ أصحابهم في كل عصر يستعملون النظر، ويعتمدون الحجاج ويجادلون بالحق، ويدمغون الباطل بالحجج والبراهين، وكان الأئمة -(عليهم السلام)- يحمدونهم على ذلك ويمدحونهم ويثنون عليهم بفضل)[٥].

٢ـ اللّد، واللدد.

أ- قال الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في معنى اللد:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية:٨٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٥) تصحيح الاعتقادات: ص ٦٨ - ٧٠.

(اللدد، مصدر الألد: أي السيّء الخلق الشديد الخصومة، العسر الانقياد، ورجل ألندد ويلندد: كثير الخصومات، شرس المعاملة)[1].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):

(لد): اللام والدال، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خصام، والأخر يدل على ناحية وجانب فالأول: اللدد: وهو شدة الخصومة؛ يقال: رجل ألد، وقوم لُد.

قال الله تعالى:

﴿ **وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** ﴾[2][3].

ب- وقال الشيخ الطوسي (عليه الرحمة والرضوان) (ت ٤٦٠هـ):

في بيان حال أبي بكر في خصومته لبضعة النبوة (عليها السلام)، وذلك عبر قولها للإمام علي (عليه السلام):

«**والله لقد أجد في ظلامتي، وألد في خصامي**»[4].

ج- وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ):

في شكاية أمير المؤمنين (عليه السلام) مما لقاه من المنافقين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

---

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج٨ ص ٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٧.

(٣) معجم مقايس اللغة لابن فارس: ج٥ ص ٢٠٣.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٦٨٣.

«سنح لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام، فقلت: «يا رسول الله ما لقيت بعدك من الإدد والأود» وروي (من اللدد)[1].

وأورد الشريف المرتضى (عليه الرحمة والرضوان) في بيان معنى قول أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال:

(أما الأود: فهو الميل تقول العرب لأقيمن ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك وظلعك بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد. . وقال ثعلب: الأود إذا كان من الانسان في كلامه ورأيه فهو عوج، وإذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج؛ وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني فإنه قال:

العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر؛ وقال ثعلب: كأنه مصدر عوج يعوج عوجا، ويقال: عصا معوجة، وعود معوج، وليس في كلامهم معوج . .

وأما -اللدد- فقيل: هو الخصومات؛ وقال ثعلب، يقال: رجل ألد، وقوم لد: إذا كانوا شديدي الخصومة؛ ومنه قول الله تعالى: (وهو ألد الخصام) . .

وقال الأموي: اللدد: الاعوجاج، والالد في الخصومة الذي ليس بمستقيم، أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه؛ ومن ذلك قولهم: لد الصبي، وإنما يلد في شق فيه، وليس يلد مستقيما فهو يرجع إلى معنى الميل والاعوجاج. وقال فسر لنا الحكم بن ظهير، فقال: ألد الخصام أي أعوج الخصام؛ وأنشد أبو السمح لابن مقبل:

---

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري: ج١ ص ٢٦.

لقد طال عن دهماء لدى وعذرتي ... وكتمانها أكنى بأم فلان

جعلت لجهال الرجال مخاضة ... ولو شئت قد بينتها بلساني

-اللدد- الجدال والخصومة . . وقال أبو عمرو: الألد: الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم، وقوله -مخاضة- يقول: إنهم يخوضون في شعري، ويطلبون معانيه فلا يقفون عليها . .

وأنشد أبو السمح:

لا تفتر الكذب القبيح فإنه ... للمرء معتبة وباب ملام

واصدق بقولك حين تنطق إنه ... للصدق فضل فوق كل كلام

وإذا صدقت على الرجال خصمتهم ... والصدق مقطعة على الظلام

وإذا رماك غشوم قوم فارمه ... باللد مشتغر المدى غشام

لا تعرضن على العدو وسيلة ... واحذر عدوك عند كل مقام[1]

ويتضح مما ذُكر:

إن بضعة النبوة (عليها السلام) كانت في ظلامة عظيمة؛ فقد نازعها أبو بكر حقها قهراً وأغلظ، وشدد، وألد في خصامها؛ فكان مجادلاً، ومخاصماً، وملداً، فلم تقوى عليه أبنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تتمكن من أخذ حقها منه، ولم يبق أمامها سوى الهجر، فهجرته غاضبة، كاظمة

(١) الأمالي للشريف المرتضى: ج٤ ص ٧٨ - ٧٩.

لآلمها، محتسبة الى رباها، فهو نعم المولى ونعم النصير.

وثمة سؤال ينبثق من هذا المعنى مفاده:

هل كان ابن عثيمين عالماً بمعنى الخصومة فنضجت في فكره أنها تؤثر على الإنسان فلا تبقي له عقل يدرك به ما يقول أو يفعل أو ما هو الصواب فيه؟!

وعليه:

لا بد من التعريف بالفكر والفهم كي نصل الى الإجابة.

ثانياً – معنى الفكر في اللغة والاصطلاح.

الف – الفكر لغةً.

ورد معنى مفردة (الفكر) في المعاجم اللغوية، على النحو الاتي:

١ـ قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ) في بيان معنى الفكر: (التفكير، التأمل، والاسم الفكر، والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح، ويقال: ليس لي في. (هذا الأمر فكر، أي ليس لي فيه حاجة، ورجل فكير: أي كثير التفكير)[1].

٢ـ وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (الفاء والكاف والراء، تردد (القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبراً)[2].

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٢، ص ٧٨٣.
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٤، ص ٤٤٦.

٣ـ قال ابن سيده (ت٤٥٨هـ): (الفكرة: إعمال الخطار في الشيء (والجمع فكّر)[١].

٤ـ وقال الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ): (الفكر بالكسر، وبفتح: إعمال (النظر في الشيء كالفكرة والفكري بكسرهما والجمع أفكار)[٢].

أقول: ويمكن أن نستخلص من هذه التعاريف، أن الفكر هو أشغال القلب، أي العقل في التأمل عبر النظر في الشيء.

باء - الفكر أصطلاحاً .

أما معنى المفردة في الاصطلاح فقد جاءت:

١ـ قال شيخ الطائفة الطوسي (عليه الرحمة والرضوان) (ت ٤٦٠هـ):

(والفكر هو التأمل في الشيء المفكر فيه، والتمثيل بينه وبين غيره، وبهذا يتميز من سائر الأعراض من الإرادة والاعتقاد وليس في المتعلقات بأغيارها شيء يتعلق بكون الشيء على صفة أو ليس عليها غير النظر -والنظر هو الفكر-)[٣].

٢ـ وقال الجرجاني (ت ٨١١هـ):

(إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف لغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقول بها العقل أو الذهن بواسطة الربط بين: (المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر)[٤].

---

(١) المخصص لابن سيدة: السفر الثالث عشر: ص٧٤٥.
(٢) القاموس المحيط: ج٢، ص ١١١.
(٣) الاقتصاد للشيخ الطوسي: ص ٩٤.
(٤) التعريفات للجرجاني: ٥٥.

٣ـ وقيل هو:

(حركة النفس نحو المبادي والرجوع عنها إلى المطالب)[١].

٤ـ وقيل أيضاً:

(حركة النفس في المعقولات بخلافها في المحسوسات فأنَّها تخييل لا فكري)[٢].

٥ـ وقيل:

(إعمال العقل بالمعلوم للوصول إلى المجهول)[٣].

٦ـ ويقول جميل صلبيا:

(إنَّ الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها؛ فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على: (المفهوم الذي تفكر فيه النفس)[٤].

أقول: ويمكن أن نستخرج من هذه التعريفات:

إنّ الفكر اصطلاحاً هو التأمل والنظر في أمرٍ ما، بقصد الوصول إلى معلومة جديدة وتكوّن معرفة حول الشيء المفكر فيه.

---

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقيهة لمحمود عبد الرحمن: ج٣، ص ٥٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) معجم لغة الفقهاء، لمحمد قلعجي: ص ٣٤٩.
(٤) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا: ج٢، ص ١٥٦، دار الكتاب اللبناني.

ثالثاً – معنى الفهم في اللغة والاصطلاح.

مما ورد في الدراسة هو البحث في المرتكزات المفاهمية لابن عثيمين في خصومة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) والتي انتجت هذه الفتوى والرأي بانها –والعياذ بالله– كانت (لا تعقل...)!!

ولذا:

لا بد من الرجوع إلى أهل الاختصاص في اللغة والاصطلاح لمعرفة معنى الفهم ودلالته كي نصل إلى جذور هذه الفتوى التي أطلقها ابن عثيمين.

ألف – الفهم لغةً.

١ـ قال الفراهيدي (ت١٧٥ هـ):

(فهم: فهمت الشيء، فَهْماً وفِهْماً: عرفته وعقلته، وفهمت فلانا وافهمته: عرفته. ورجل فهم: سريع الفهم)[١].

٢ـ قال ابن منظور (ت٧١١هـ):

(الفهم: معرفتك الشيء بالقلب.

فَهِمَه فَهْما وفَهَماً وفهامة: عِلمَه؛ وفهمت الشيء: عقلته وعَرفته)[٢].

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج٤ ص ٦١.
(٢) لسان العرب لابن منظور: ج١٢ ص ٤٥٩.

باء - الفهم إصطلاحاً.

جاء معنى مفردة (الفهم) في الاصطلاح، بمعنى:

(تصور المعنى من لفظ المخاطب أو المتكلم أو من عبارة الكتاب).

والتفهيم: إيصال المعنى الى فهم السامع بواسطة اللفظ)[١].

جيم ـ الفرق بين الفهم والعلم.

ذكر أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) فرقا بين أن يكون المرء قد فهم الشيء وبين أن يكون قد علم، فقال:

(أن الفهم، هو: العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة؛ ولهذا يقال: فلان سيء الفهم، إذا كان بطيء العلم، بمعنى: ما يسمع، ولذلك كان الأعجمي لا يفهم كلام العربي، ولا يجوز أن يوصف الله بالفهم لأنه عالم بكل شيء على ما هو به فيما لم يزل، وقال بعضهم: لا يستعمل الفهم إلا في الكلام ألا ترى أنك تقول: فهمت كلامه؛ ولا تقول: فهمت ذهابه ومجيئه كما تقول علمت ذلك.

وقال أبو أحمد بن أبي سلمة رحمه الله: الفهم يكون في الكلام، وغيره من البيان كالإشارة ألا ترى أنك تقول فهمت ما قلت وفهمت ما أشرت به إلي.

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: الأصل هو الذي تقدم وإنما استعمل الفهم في الإشارة لان الإشارة تجري مجرى الكلام في الدلالة على المعنى)[٢].

---

(١) معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، محمد عبد الرحمن: ج١ ص ٤٨١؛ معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي: ص ٣٥٠.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص ٤١٤.

وقيل: الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: ادراك خفي، دقيق، فهو أخص من العلم، لان العلم نفس الادراك سواء كان خفياً أو جلياً، ولهذا قال سبحانه في قصة داود وسليمان (عليهما السلام) :

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

خص الفهم بسليمان، وعمم العلم لداود وسليمان)[1].

وعليه:

يتضح من هذا البيان ثمة اسئلة:

١ـ هل علم ابن عثيمين معاني الكلام ليفهم الحديث الذي اخرجه مسلم وغيره عن عائشة في هجرة فاطمة (عليها السلام) لأبي بكر كي يسأل الله ان يعفوا عنها لهجرتها؟!

٢ـ أمْ أنَّه فهم النصوص القرآنية في سهم ذي القربى وارض فدك وأقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما ورثه من اشياخه فكونت لديه مقاصدية محددة في قوله الذي نعت به فاطمة (عليها السلام)؟

٣ـ وهل ارتكزت هذه المفاهيم مع قصدية القرآن والسُنّة النبوية والتاريخ وسير الخلفاء؟!

ومن ثم فلا بد من التعريف بالقصد والمقاصدية، التي اعتمدت عليها الدراسة في الوصول إلى مضمرات القول، وهي كما يلي:

---

(١) الفروق اللغوية: ص ٤١٤.

رابعاً - معنى المقاصدية ومفهومها.

للوصول الى معنى القصدية ومفهومها فلا بد من الرجوع الى تعريفها في اللغة والاصطلاح وما ذكره البلاغيون من استعمالات ودلالات ومعنى للقصد في كتبهم.

ومن ثم لنقف عند مقاصدية قول ابن عثيمين في بضعة النبوة فاطمة (عليها السلام) وما نتج عنه من شبهات عقدية، وهو كالاتي:

ألف - معنى القصد والمقاصدية في اللغة.

إن المستفاد من معنى مفردة (قصد) في اللغة، هو أصابة المعنى في اللفظ والوصول إليه.

أ- قال الفراهيدي:

(القصد: استقامة الطريق، والقصد في المعيشة أن لا تسرف ولا تقتر؛ وقد جاء في الحديث: ما عال مقتصد، ولا يعيل)[1].

ب- وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):

قصد: القاف، والصاد، والدال؛ أصول ثلاثة يدل أحدهما على إتيان شيء وأمه، والأخر على كسر وانكسار، والأخر على اكتناز في الشيء؛ فالأصل: قصدته قصداً ومقصداً.

(١) كتاب العين: ج٥ ص ٥٤.

ومن الباب: أقصد السهم إذا أصابه فقتل مكانه وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه)[1].

وهذا يكشف عن دلالة القصد في النص: أي إصابة المعنى الذي عناه منتج النص كما يصيب السهم الهدف ويصل إليه:

(فأقصدها سهمي وقد كان قلبها لأمثالها من نسوة الحي قانصاً)[2]

وفي الأصل الثالث الذي ذكره ابن فارس يحدد وظيفة القصد في اللفظ، أي أن النص يكون متمثلاً ومكتنزاً للمعاني والدلالات فتكون وضيفة المتلقي اخراج هذه المعاني التي اكتنزها اللفظ.

ولذا قيل:

(الناقة القصيدة: المكتنزة الممتلئة لحماً.

قال الأعشى:

قطعت وصاحبي سرح كناز كركن الرعن ذعلبة قصيد

ولذا سميت القصدية من الشعر قصيدة لتقصيد أبيهاتها، ولا تكون أبياتها إلا تامة الأبنية)[3].

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٥ ص ٩٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ج٥ ص ٩٦ .

ج- وأظهر أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ):

(إنَّ المعنى: القصد الذي يقع به القول على وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد.

وقيل: إنَّ المعنى هو القصد، ما يقصد إليه من القول، فجعل المعنى: القصد لأنه مصدر)[١].

د- وقد كان لابن جني بياناً موفقاً في تحديد موقع اللفظ وأصله، أي (القصد) في كلام العرب، وهو: الاعتزام، والتوجه، والنهود، والنهوض، نحو الشيء على أعتدال كان ذلك أو جور.

هذا أصله في الحقيقة وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، الا ترى وانك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى، فالاعتزام والتوجه شامل لها جميعاً)[٢].

وهذا يرشد الى أنَّ القصد يراد به في الأصل في كلام العرب حينما تتم المقارنة مع النظرية التداولية وتحديداً في معيار المقصدية هو التوجه بالمعنى والنهوض به نحو الشيء الذي عناه منتج النص مرتكزاً على الاعتدال في توجيه المعنى بغية احراز التفاعل مع المتلقي.

باء - القصد والمقاصدية في الاصطلاح.

يمكن الوقوف على معنى القصدية في الاصطلاح عبر المفاهيم التي

(١) الفروق اللغوية: ص ٥٠٥ .
(٢) لسان العرب لابن منظور: ج٣ ص ٣٥٥.

تناولت اللفظ في بعض العلوم، فالقصدية في الفلسفة هي:

(اتجاه الذهن نحو موضوع معين وادراكه له ويسمى القصد الأول، وتفكيره في هذا الادراك سمي القصد الثاني)[1].

في حين عرَّفها علماء الظاهراتية (الفينومينولوجيا): هي مبدأ كل معرفة، وتعني: أنَّ المعنى يتكون من خلال الفهم الذاتي والشعور القصدي الآتي بإزائه)[2].

جيم - مفهوم مقاصدية القرآن والسُنّة.

حينما كان القران والسُنة النبوية المصدران الاساسان للشريعة فان مقاصد الشريعة هي في مفهومها قريبة من مقاصد القران والسُنّة إن لم يكن المفهومان متلازمان في المعنى والدلالة، والغاية.

ولذا: فقد ذهب البعض الى تعريف مقاصد القران والسُنّة بـ (الأمر باكتساب المصالح وأسبابها والزجر عن أكتساب المفاسد وأسبابها؛ والتعريف يلمح للمقصد العام للإسلام بأنه جلب للمصالح ودرء للمفاسد)[3].

---

(١) معجم المصطلحات في اللغة والادب، تأليف مجدي وهبة وكامل المهندس: ص ٢٨٨، ط٢ مكتبة لبنان.

(٢) هي مدرسة فلسفية تعتمد على الخبرة الحسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبراتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل هذه الظاهرة وأساس معرفتنا بها. للمزيد ينظر: ويكيبيديا العربية، علم الظواهر.

(٣) مقاصد القران الكريم ومحاوره عند المتقدمين والمتاخرين، د.عيسى بو عكاز، كلية العلوم الاسلامية-جامعة باتنة، مجلة الاحياء، العدد ٢٠- لسنة ٢٠١٧.

وقد اختلفت الأقوال في تحديد أقسام مقاصد القران، فكانت على النحو الاتي:

١- السيوطي (ت: ٩١١هـ)، وقد جعلها أربعة مقاصد، فقال:

إن مقاصد القرآن في أربعة علوم قامت بها الأديان، علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته ومعرفة النبوات ومعرفة المعاد؛ وعلم العبادات؛ وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الاداب الشرعية؛ وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة، وقد نبّه عزّوجل في سورة الفاتحة على جميع مقاصد القرآن[١].

٢- محمد صدر الدين الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)، وقد جعلها ستة مقاصد وسماها ايضا بالاصول المهمة، فقال:

وهي: معرفة الله وصفاته وأفعاله،معرفة الصراط المستقيم والصعود الى الله والسلوك عليه وعدم الانحراف؛ معرفة المعاد والمرجع إليه وأحوال الواصلين الى دار رحمته؛ معرفة المبعوثين من عند الله لدوعة الخلق ونجاة عن حبس الجحيم؛ حكاية أقوال الجاحدين فضائحهم وتسفيه عقولهم؛ تعليم عمارة المنازال والمراحل الى الله تعالى وكيفية أخذ الزاد والمقصود منه كيفية معاملة الانسان مع أعيان هذه الدنيا، وهي علم الأخلاق وعلم السياسة والتدبيروعلم أحكام الشريعة كالقصاص والديات والأقضية والحكومات وغيرها[٢].

(١) الاتقان في علوم القران: ج٢ص٢٨٤.
(٢) اسرار الايات: ص٢١-٢٢.

٣- الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، وعرّفها قائلًا:

إنّ مقاصد القران الكريم ترجع عند التحقيق الى ثلاثة معان: معرفة الله ومعرفة السعادة والشقاوة الاخرويتين، والعلم بما يوصل الى السعادة ويبعد عن الشقاوة[١].

٤- الآلوسي (ت١٦٥٠هـ)، وعرّفها قائلًا:

إن مقاصد القرآن العظيم لا تنحصر في الأمر والنهي، بل هو مشتمل على مقاصد أخرى كأحوال المبدأ والمعاد ومن هنا قيل: لعل الأقرب أن يقال إن مقاصد القرآن،التوحيد والأحكام الشرعية وأحوال المعاد، والتوحيد عبارة عن تخصيص الله تعالى بالعبادة وهو الذي دعا إليه الأنبياء عليهم السلام أولاً بالذات والتخصيص إنما يحصل بنفي عبادة غيره تعالى وعبادة الله عز وجل إذ التخصيص له جزآن النفي عن الغير والإثبات للمخصص به فصارت المقاصد بهذا الاعتبار أربعة؛ وقيل: إن مقاصد القرآن صفاته تعالى والنبوات والأحكام والمواعظ[٢].

وعليه :

فثمة سؤال تفرضه الدراسة: هل هناك أصل لما استند اليه ابن عثمين في مقاصدية القرآن والسُنّة في (أن الانسان عند المخاصمة لا يبقى له عقل يدرك به ما يقول أو يفعل أو ما هو الصواب فيه)؟!!

---

(١) الوافي: ج٨ ص٦٦٩.

(٢) تفسير الالوسي:ج٣٠ ص٢٥٠.

دال - المقاصدية في التراث البلاغي.

يتضح اهتمام البلاغيون العرب في تتبع قصد منتج النص عبر اهتمامهم بالمعنى وفهم كلام القائل وقدرته على إفهام السامع وهو ما يعنيه اللسانيون في دراستهم لمعياري القصدية والمقبولية.

فقد أظهر أبو هلال العسكري مفهوم القصدية في بيانه لمفهوم مفردة المعنى ودلالتها فيقول:

(المعنى: هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه فيكون معنى الكلام ما تعلق به القصد)[١].

ثم يأتي بمثل في بيان حقيقة القصد ومراده فيقول:

(والكلام لا يترتب في الأخبار والاستخبار وغير ذلك إلا بالقصد، فلو قال قائل: (محمد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-) ويريد جعفر بن محمد بن جعفر كان ذلك باطلاً)[٢].

ثم يأتي الى بيان الغرض الذي أراده منتج النص في خطابه، فيقول:

(والغرض هو المقصود بالقول أو الفعل بإضمار مقدمة)[٣].

وبين السبب في تسميته بالغرض (تشبيهاً بالغرض الذي يقصده الرامي بسهمه وهو الهدف)[٤].

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص ٥٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفروق اللغوية: ص ٥٠٤.

(٤) الفروق اللغوية: ص ٥٠٤.

وتظهر مفاهيم العملية التواصلية في التراث البلاغي عبر تعريفهم للبيان كما جاء عن الجاحظ والقيرواني (ت ٤٥٣هـ) والظهار ان القيرواني نقل هذا التعريف عن الجاحظ، فيقول:

(والبيان أسم جامع بكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان من أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الامر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والأفهام فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع)[١].

ويظهر مدار العملية التواصلية في معياري القصدية والمقبولية في قوله:

(والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والأفهام) ومن ثم يكون الخطاب التواصلي بين الناس ثمرة وهي (البيان).

ويتجلى اعتماد البلغاء والشعراء القصدية في بيانهم للمعنى المنظور والموزون في الشعر، قال ابن جني:

(سمي قصيداً لأنه قصد واعتمد)[٢].

وقال الجوهري: (سمي قصيداً لأن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار وأصله من القصيد)[٣].

(١) البيان والتبيان للجاحظ: ص ٥٥؛ زهر الآداب للقيرواني: ج١ ص ١٤٩.
(٢) لسان العرب: ج٣ ص ٣٥٤.
(٣) المصدر السابق.

وقيل (سمي الشعر التام قصيداً لان قائله جعله من باله فقصد له قصداً ولم يحتسّه على ما خطر بباله وجرى على لسانه، بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضاباً فهو فعيل من القصد، وهو الأُم)[١].

أن مفهوم القصدية في التراث النقدي والبلاغي كان حاضراً في مظهرين رئيسيين:

أولهما: النية؛ حيث سمي الشعر التام قصيداً لان قائله جعله من باله فقصد له قصداً؛ إضافة الى تعريفهم للشعر بأنه بعد النية على أربعة أشياء، وهي:

اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفّى وليس بشعر لعدم القصد والنية، بل اشترط بعضهم في الشعر أن يكون أكثر من بيت احترازاً عما يقع في سطر واحد بوزن الشعر دون القصد.

اما المفهوم الثاني للقصد: فيتمثل في المصطلحات التي استعملها القدامى للدلالة على المراد من النص او الكلام، مثل: المعنى، والغرض، والهدف، والحاجة، والغاية التي يريد أن يبلغ اليها المتكلم، بل لعل تعريفهم للبلاغة يتضمن جانباً من القصدية حيث ينشطرون لتحقق بلاغة النص أو الكلام وضوح القصد للسامع)[٢].

---

(١) لسان العرب: ج٣ ص ٣٥٤.

(٢) القصدية والمقبولية في التراث النقدي والدرس اللساني، د. أياد نجيب عبد الله، و أ. ميلود مصطفى عاشور: ص ٣٥٣، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد السابع عشر - يوليو - ٢٠١٦م.

وبناءاً عليه:

فقد أقتضت الدراسة البحث في مقاصد النص الوارد عن ابن عثيمين في بضعة النبوة (عليها السلام) وبيان مركوزه ومدى توافقه مع القرآن والسُنة واللغة والادب والسيرة .

كما اقتضت الدراسة التأصيل المعرفي لمقام قطبي الخصومة، أي بضعة النبوة فاطمة (عليها السلام) وأبي بكر في ضوء مقاصدية القرآن والسُنّة ليتضح عند ذلك حقيقة قول منتج النص.أي ابن عثيمين؟!

خامساً - نوع الدراسة: بينية.

اعتمدنا في هذه الدراسة على أهم الطرق العلمية في بناء النتائج المعرفية والفكرية؛ إذ تعد الدراسات البينية من أهم ما توصلت أليه المناهج العلمية في طرق جمع المعلومة واعادة بلورتها في نتاج معرفي جديد يرتكز على الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة للوصول الى نتاج معرفي وفكري جديد يمكن الباحثين والدارسين من فهم مادة البحث سواء أكانت هذه المادة البحثية هي الانسان وما يصدر عنه أو ما يختلج في مكنون نفسه ضمن العلوم الانسانية أو ما أرتبط بالعلوم الاساسية أو التطبيقية.

وذلك أن الهدف من الدراسات البينية هو (تعظيم الإستفادة من التوجهات الفكرية للتخصصات المشاركة وتحقيق الإبداع في طرق التفكير والتكامل المعرفة وليس وحدتها)[1].

(١) تزاوج الإختصاصات، نجيب عبد الواحد؛ ٣يونيو٢٠١٧؛الدراسات البينية التعليم العالي.

مما يحقق أيضًا (تكامل المعارف الانسانية على اختلاف مجالاتها لتظهر علوم وكشوف جديدة نافعة للبشرية)[١].

وهذا ماسعت الى تحقيقه الدراسة عبر الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة بغية الوصول الى نتائج جديدة في قضية بلغت من الاهمية بمكان ما جعلها متجددة في البحث والدراسة ألا وهي ظلامة بضعة النبوة وصفوة الرسالة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها)؛ وما عينة الدراسة التي بين أيدينا إلا شاهد متجدد في أروقت الفكر وحقوله المعرفية لاسيما الحقل العقدي الذي عليه قيام العلاقة مع الله تعالى ورسوله الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم).

فضلا عن كاشفية افتقاد خصم فاطمة عليها السلام الذي نعتها ونشئها بقوله الى الاصول العلمية والمعرفية التي يلزم بالباحث الاخذ بها وتحكيمها فيما يقول أو يبحث، فضلا عن تعارض قوله وفكره مع مقاصدية القران والسُنّة واللغة والادب والتاريخ؛ لنستنتج أنه أرتكز في فهمه وفكره على المكون العقدي الذي ورثه من أشياخه وأسلافه؛ ومن ثم فمقاصدية النص هي مكونات العقيدة الوهابية والتيمية.

سادسا - منهج البحث.

اعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مناهج بحثية، وهي: المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك لدراسة المعطيات التاريخية،

(١) صحيفة المدينة، يوم الاثنين، ٢٨شوال-١يوليو٢٠١٩

والروائية، والعقدية، والثقافية، عبر استنطاق النصوص، والاحداث، والمظاهر والبواطن للمواقف بغية الوصول الى نتائج وكشوفات معرفية جديدة تسهم في أصلاح الإنسان والمجتمع والرجوع به الى هويته القرآنية والنبوية والتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته (عليهم السلام).

فلم ولن يضل من تمسك بهما حتى يردا على الحوض؛ عهد معهود من الله لنبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولن يضر الله شيئاً من كفر من الناس وكان في شك مريب.

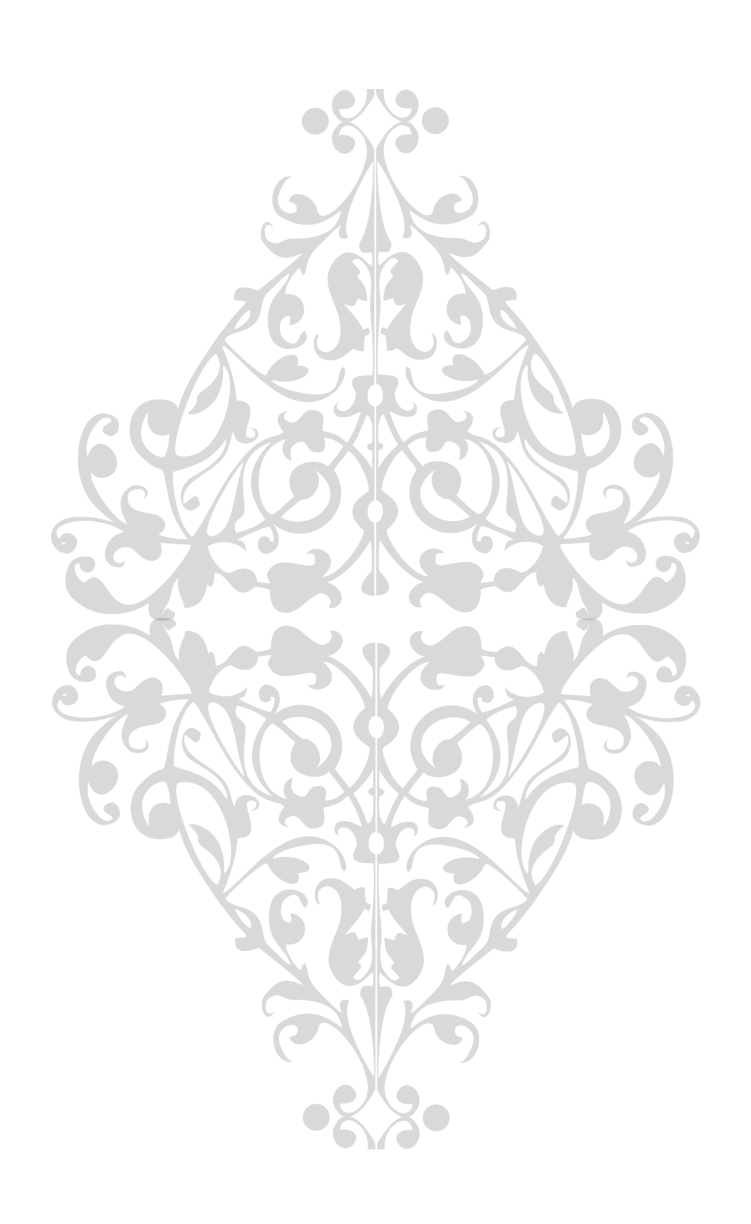
قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1].

وليقف القارئ على حقيقة ما لحق بضعة النبوة وصفوة الرسالة من الظلم والاذى منذ أن توفي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والى يومنا هذا.

فما قول بن عثيمين إلّا عينية جديدة في طرحها، قديمة في منهجها وعقديتها في ظلم فاطمة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها).

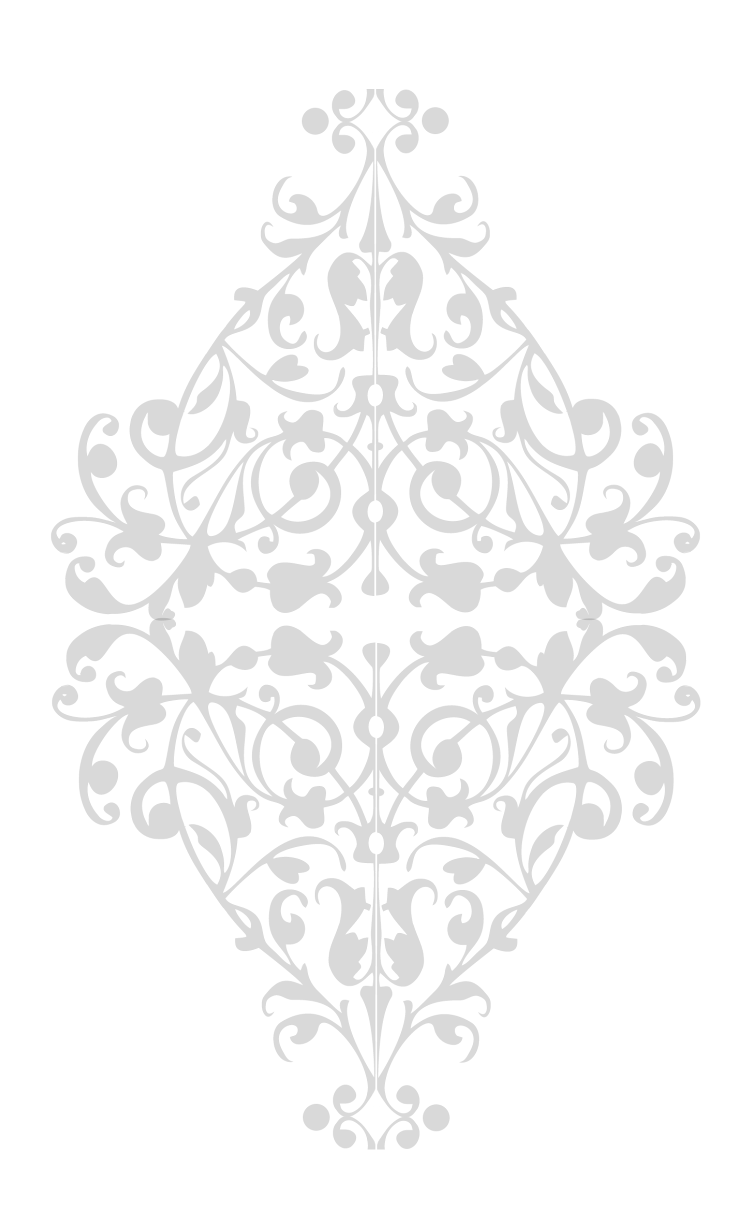
(١) سورة إبراهيم، الآية: ٩.





الفصل الأول

فاطمة (عليها السلام) وخصمها أبي بكر في مقاصدية القرآن والسُنّة



المبحث الأول

فاطمة (عليها السلام) في مقاصدية القران والسُنّة.

من هي فاطمة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) في مقاصدية القرآن والسُنة النبوية؟

سؤال يطرح لكن أجابته معلومة لدى معظم المسلمين وغيرهم ممن أطلع على الإسلام وحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن قصدية السؤال لا يراد منها الإجابة المعهودة، بل التعريف بفاطمة بما عرّفها به الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي أمير المؤمنين وابنائها الأئمة (عليهم الصلاة والسلام أجمعين).

وإلاّ بخلاف هذه القصدية يكون التعريف بخصمها أرجح في الوضوح فسرعان ما يقال: إن خصمها. أبو بكر خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فينصرف الذهن الى التفضيل بما يرتكز في ذهن أبناء العامة من المسلمين من موروث تاريخي وعقدي حرص القائمون على تدوينه على تغييب العترة النبوية من روح الإسلام ومكوناته وهيئته.

وما قول ابن عثيمين إلا مصداق لهذا التركيب والتدوين الذي أسست له الخلافة وشيده الخلفاء.

وعليه:

فإن فاطمة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) هي في الإجابة العامة في منطوق السؤال أبنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي منطوق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجابته القولية والعملية لها أثار وضوابط وحدود وقوانين تفرض على المسلم إلية خاصة للتعامل مع بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتظهر مدار معرفتها، وتقدم الإجابة على السؤال الذي تصدّر عنوان المبحث ليتضح حين ذاك مقاصدية القرآن والسُنّة، ويتضح أيضاً من هو خصمها، ومن هو ابن عثيمين الذي وصفها بما وصف، وهو على النحو الآتي:

المسألة الأولى: إنّ فاطمة (عليها السلام) هي نواة تكوين بيت النبوة في مقاصدية القرآن والسُنّة.

ينطلق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء المجتمع الإسلامي من منهج البناء التقوائي للفرد والأسرة والمجتمع، بمعنى: أنه أنشئ المجتمع على العقيدة وليس على الطبقية القبائلية وركيزة الاحساب والانساب على الرغم من أن القبيلة وجذورها الضاربة في الشخصية العربية كانت من الأسس التي أعاد الإسلام بناء مكوناتها النفسية وذلك عبر محاربته صلى الله عليه وآله وسلم للجاهلية بجميع مكوناتها؛ إذ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

ولذلك: لم يكن الفعل النبوي أو القول النبوي في التعامل مع شخص فاطمة عليها السلام يرتكز على العنصر الرحمي والوالدي، وإنما يرتكز

على العقيدة الإسلامية المكونة لمجتمع جديد يضم جميع الأعراق والألوان والطبقات، لاسيما وإن هذا الهدي المحمدي كان في المدينة المنورة وبعد أن تكوّن فيها نواة البيت النبوي عند تزويج النور من النور وولادة نورا النبوة والإمامة في الحسن والحسين عليهم السلام فهؤلاء الأنوار الأربعة كانوا المنار الذي ينير للمسلمين بعد (السراج المنير)[1]، طريقهم إلى الله تعالى وبهم يأمن المسلمون من الوقوع في الظلال أو الدخول في التيه كما دخله من كان قبلهم من الأمم السابقة.

ولأجل هذا: كان المنهاج النبوي في التعامل مع هذه النواة التي تكوّن منها البيت النبوي المحمدي على النحو الآتي:

أولاً - انحصار (الأهل) بفاطمة وبعلها وولدها (عليهم السلام) في مقاصدية القرآن والسُنّة.

قد لا يخفى على الباحث والمتتبع لشؤون المجتمع العربي الدور الكبير للعشيرة والأهل في تكون التحزبات والتجمعات لدى الإنسان العربي.

فالعشيرة والأهل، هم مصدر القوة، والمال، والعزة، والحسب، والتفاخر، والمنعة، والغلبة، والسلطان، وغيرها من المعان والدلالات الراسخة في العقلية العربية قديماً وحديثا وإن تفاوتت من مجتمع إلى آخر كالعراق واليمن ومصر فكل مجتمع منها تتفاوت فيه هذه العناصر المكوّنة للمجتمع.

في حين كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند بدئه في تكوين

(١) هو قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾؛ سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

مجتمع جديد في المدينة المنورة قد اختار من هذه المفاهيم مفهوماً واحداً وهو أن لا قيام للإنسان بدون التقوى فالأهل تجمعهم التقوى وتفرقهم كذلك، كما كان حال نوح وولده.

قال تعالى:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

والقرآن في هذه الآية المباركة لم يكن ليغض الطرف عن علاقة الإنسان بالأهل وانجذابه الفطري إلى أهله وارتباطه وتمسكه بهم وإن لهم الحظوة لديه، فهم مبدأ نشأته ونموه وأساس وجوده في الحياة.

لكن هذه الأحاسيس والروابط النفسية والروحية لم تكن حاجزاً -وبحسب المفهوم القرآني- عن طاعة الله تعالى؛ إذ إنها تنهار فيما لو كان أحد أفراد الأهل خارجاً عن عنوان التقوى كما هو حال ابن نبي الله نوح (عليه السلام).

بل: يأتي القرآن في مواضع أخرى يظهر للمسلم وفي مجتمعه الجديد الأسس التي يقوم عليها هذا المجتمع الذي انظم إليه فكان أحد مكوناته وأحد عناصر وجوده وديموميته.

فيقول سبحانه:

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾[1].

أي: الاستفادة من هذه الفطرة، ومن هذه الروابط النفسية والروحية لتكون حافزاً في نجاة هؤلاء (الأهل) من النار.

لكن هؤلاء الأهل إذا كانوا حائلاً بين المسلم وبين طاعة الله عزّ وجل ويدفعون به إلى الخروج عن الطاعة لله فيتلبس فيه معنى آخر وهو الفسق، كما هو واضح في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

وهنا: يقدم القرآن معنى جديداً للحب بكونه أحد المكونات الأسرية وواحداً من أهم الروابط التي تجمع الأهل فيجعله القرآن ضمن ضابطة جديدة ترتكز على حب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما في مفهوم الموالاة فكذاك يقدم القرآن ضابطة وقاعدة جديدة يرتكز عليها هذا البناء الأسري في الإسلام، إلا وهو الموالاة لله تعالى.

يقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١].

فمن هذه المفاهيم القرآنية الجديدة في إعادة بناء الأسرة في المجتمع الإسلامي وبلحاظ إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو العمود الفقري لهذا المجتمع وأن له أهلاً كما للمسلمين، وتربطه بهم مجموعة من الروابط كما تربط كل إنسان بأهله ــ مع الفارق ــ في تقنين هذه المفاهيم كما أسلفنا ومن ثمّ فإن هؤلاء الأهل الذين ينتمي إليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وينتمون إليه وتربطه بهم روابط الحب والألفة والدم والقرابة؛ وجب معرفتهم كما يعرف المسلمون كلاً أهله، وأن لهم عليه حقوقاً، وله عليهم حقوقاً كذلك، لذا لزم على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) تعينهم وإظهارهم للناس كي يعلم المسلمون ما يجب عليهم من الحقوق اتجاههم، مع ملاحظة: أن هؤلاء لهم خصوصية الأهلية التقوائية التي جاء بها القرآن كعنصر أساس في قيام الأهل أو فك جميع الأواصر بهم.

وعليه:

كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من واجبه الشرعي أن يحدد للمسلمين من هم أهله بالمنظور القرآني والتحديد الرباني، إذ -وكما أسلفنا- للمجتمع الإنساني والعربي (تحديداً) مفاهيم أخرى في تكوين الروابط الأسرية والأهل.

لاسيما وأن النبي الهاشمي القرشي له أقارب وأبناء عمومه وعشيرة كبيرة لم يكن لها مثيلاً في الحسب والمفاخر، فضلاً عن تزوجه من نساء عدة فكانت

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

مصاهرته لهذه القبائل عامل آخر في اتساع دائرة القرابة وتداخلها مع هذه البيوتات بحسب ما تفرضه القوانين القبائلية في تكون المجتمع العربي.

من هنا:

كان اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وبحسب هذا المكوّن الاجتماعي ـ أن يشرع في تحديد الأهل للناس جميعاً كي يدرك المسلم ما لهؤلاء من حقوق وواجبات ينبغي مراعاتها، وذلك بحسب مجموعة من المفاهيم.

١- إن لهم حرمة الدم التي تأسس عليها المجتمع الإنساني وخصوصاً العربي، فضلاً عن تثبيت القرآن قانون القصاص في مجال الحدود والتعزيرات.

٢- إن لهم حرمة الشأنية إذ أن المجتمع العربي وغيره من المجتمعات بني على تلازم شأنية كل فرد بحسب أسرته وأهله، ومن ثمّ فلهم من الشأنية الاجتماعية ما لغيرهم من الأسر المحترمة التي بلغت مراتباً عالية من المآثر والمفاخر وهو ما يعرف بالحسب.

٣- إن التعدي على أحدهم تعدي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

٤- إن إكرام أحدهم هو إكرام للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فهذه المفاهيم وغيرها من الأسس التي قام عليها المجتمع هي نفسها موجودة لدى (الأهل) الذين اختص بهم النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) واختصوا به.

فكيف إذا ألحقت بها أسس جديدة سَنّها القرآن وأوجبها على الأمة جميعاً والتي كان الملاك فيها والقاعدة التي بني عليها هذا البناء الجديد هي التقوى؛

وإن لهم ـ فضلاً عما للمسلمين مع أهلهم ـ من الحقوق المذكورة.

ولذلك:

حدد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هم أهله للمسلمين كي لا يحتج محتج يوم القيامة فيقول لم أعلم من هم؛ فكان ذلك عبر مجموعة من الأقوال والأفعال النبوية كشفت عن هؤلاء الأهل؛ وما يترتب على هذه الأمة من حقوق اتجاههم ضمن تلك الأسس التي جاء بها القرآن الكريم، فكانت كالآتي:

ألف: التلازم بين نزول الوحي وفعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحديد الأهل بفاطمة وبعلها وولدها (عليهم السلام).

لو نظرنا إلى القرآن الكريم وتدبرنا في آياته لاسيما المتعلقة بعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) لوجدنا تلازماً لا ينفك بين الوحي والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمرة يسبق الوحي الفعل النبوي، وأخرى يسبق النبي الوحي في بيان أمرٍ شرعي لاسيما فيما يختص بآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويبدو أن الأمر منحصر في الحكم الشرعي وما له عند الله تعالى من المنزلة والشأنية التي حرص الأنبياء جميعا على إظهارها، ولأجلها كانوا ينطقون في تبليغهم فصدعوا بما أمروا في تعليم الناس: إن لا حرمة فوق حرمة الشريعة، وإن أهل الشريعة اكتسبوا هذه المنزلة لاختصاصهم بالحكم الشرعي المرتبط بالله عزّ وجل فهو صاحب الشريعة.

من هنا:

نجد أن هذا التلازم بين الوحي والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كان لارتباط أهله بالحكم الشرعي وما يفرضه على المسلم من حدود قد حذّر القرآن أشد التحذير من تعديها أو المساس بها حتى أصبح المبتدعون أي الذين يدخلون أحكاماً إلى الشريعة ما أنزل الله بها من سلطان مصيرهم الحتمي إلى النار لأنهم أهل ضلال.

ومن هنا أيضاً: أصبح آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم تلك الحرمة الشرعية المتلازمة مع حرمة الحكم الشرعي، وإلا لا معنى أن يكون الوحي والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أتى بكل هذا البيان لمجرد أن لهم صفة الرحم والقرابة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وواقع الحال يحكي عن وجود أرحام وأقارب للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلماذا لم يهتم بهم الوحي والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحجم هذا الاهتمام الذي قدمه القرآن والنبي لفاطمة وبعلها وبنيها (عليهم أفضل الصلاة والسلام)؟!

وعليه:

كان هذا التلازم ظاهراً لكل قارئ للقرآن مطلع على سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي الوقت الذي ينزل الوحي بقوله تعالى:

﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، ألآية: ٦١.

يقوم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيان من هم أهل بيته فيخرج فاطمة وعلي وولديهما، وذلك عبر هذا الحديث النبوي الذي أخرجه كثير من الحفاظ، لاسيما مسلم النيسابوري في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً (أن يسب علي بن أبي طالب فامتنع) فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟

فقال: أما ما ذكرت واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) يقول له (وقد) خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي:

«**يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟**».

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي**».

وسمعته يقول يوم خيبر:

«**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**».

قال: فتطاولنا لها، فقال:

«**أدعو لي علياً**».

فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه؛ ولما نزلت هذه الآية: ﴿... **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ...﴾، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسنا وحسيناً، فقال:

«اللهم هؤلاء أهلي»[1].

باء: استخدام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للوسائل التعليمية في بيان مراد الوحي في التشديد والمبالغة بحصر الأهل بفاطمة وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام).

يلجئ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الوسائل التعليمية في إرشاد المسلمين إلى معرفة الحكم الشرعي كي يرسّخ ذلك في أذهانهم ويذهب عنهم التأويلات والآراء والأباطيل والبدع التي يلجئ إليها المنافقون والظالمون والساسة لغرض مصالحهم الشخصية.

(١) حدّثنا الربيع المرادي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حاتم بن إسماعيل، حدثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسن وحسيناً (عليهم السلام)، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي)؛ أبو داود، إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح، و(أسد بن موسى) المصري احتج به النسائي، وعلق له البخاري في تاريخه الكبير برقم ١٦٤٥ بقوله: مشهور الحديث، يقال له: أسد السُنّة) ووثقه النسائي، وابن يونس، وابن حبان، والعجلي، وابن نافع، وأبو يعلى، والخليلي في (الإرشاد) وضعفه ابن حزم ولكن رد عليه الذهبي قائلاً: وما علمت به بأساً؛ رواه مسلم كاملاً في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) حديث (٢٤٠٤) بتسلسل ٣٢، والترمذي في الجامع الصحيح كتاب تفسير القرآن باب ٤ حديث ٢٩٩٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٠٨ / ١٠٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق وساقه الذهبي في التلخيص على المستدرك ج٣، ص١٠٨؛ لكنهم أخرجوه ضمن آية المباهلة، ورواه النسائي في (الخصائص) رقم ٥٤؛ وابن جرير في تفسيره ج٢٢، ص٨؛ والطحاوي في مشكل الآثار ج٢، ص٣٥، حديث ٧٦١؛ والترمذي في صحيحه كتاب المناقب باب فضائل فاطمة حديث ٣٨٧١ عن شهر بن موسى عن أم سلمة وفي المعجم الصغير للطبراني: ج٢، ص٩١ حديث ١٧٠ وجاء فيه (هؤلاء حامتي وأهل بيتي).

واستخدام النبي الأكرم للوسائل التعليمية والإرشادية في بيان دلالة الحكم الشرعي كثيرة لا يسعنا تتبعها في هذه الأسطر، ولكن فيما يخص إرشاد الناس إلى معرفة آل النبي وعترته وأهل بيته استخدم وسيلة القماش في إرشاد الناس إلى حصر أهل بيته بمن يجللهم هذا القماش أو الكساء وجمعه لأطراف هذا الكساء لقطع الطريق على من يعتقد أن أهله غير هؤلاء بلحاظ ما للمجتمع الإنساني والعربي من عرف في معنى الأهل.

ولذلك:

كانت هذه الوسيلة التعلمية للناس ـ على بساطتها ـ إلاّ أنها بالغة الدلالة في تحديد أهل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحصرهم بهؤلاء الأربعة وهم (فاطمة وعلي وولديهما صلوات الله عليهم أجمعين)؛ وذلك كما دلت عليه الأحاديث الآتية:

١- أخرج الحاكم النيسابوري عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه قال:

(لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة هابطة، قال:

«**ادعوا لي ادعوا لي**».

فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال:

«**أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين**».

فجيء بهم فألقى عليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كساءه ثم رفع يديه، ثم قال:

«اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد».

وأنزل الله عزّ وجل:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1])[2].

٢-روى الحاكم عن عامر بن سعد يقول: قال سعد -بن أبي وقاص-: (نزل على رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) الوحي فأدخل علي وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي»).

ونلاحظ هنا أن الفعل النبوي قد تلازم مع الوحي في بيان أهل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحصرهم عبر هذه الوسائل الإرشادية كي لا يبقى أحد يعتقد أن آل محمد وأهل بيته غير هؤلاء الأربعة.

وهذا المعنى قد التفت إليه الحاكم النيسابوري، أي الحكمة في استخدام النبي للكساء أو الثوب في بيان مراد القرآن والوحي في تحديد الآل والأهل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهؤلاء الأربعة فقط دون غيرهم، فقال: (وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن موسى بن إسماعيل في الجامع الصحيح؛ وإنما خرجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم)[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٤٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص١٤٧.

بمعنى: أن آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته هم واحد، وهم هؤلاء الأربعة الذين جللهم بالكساء، وهم الذين أخرجهم للمباهلة.

والحديث الذي قال عنه الحاكم: (وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري هو هذا: ـ قال ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقيني كعب بن عجرة فقال: إلا أهدي لك هدية سمعتها من النبي (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)؟

قلت: بلى، قال: فأهدها إليه.

قال: سألنا رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال:

«قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»)[1].

٣- أخرج أحمد بن حنبل، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

فقالت أم سلمة: يا رسول الله أنا منهم؟

(١) صحيح البخارب، كتاب بدء الخلق، ج٤ ص١١٨

قال:

«**إنكِ على خير**»[١].

وتظهر الحكمة بشكل كبير في اعتماد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إرشاد الناس وبالأخص أزواجه إلى تحديد أهل بيته وذلك حينما كان تجليله لهم بالكساء في دار أم سلمة وفي رواية في دار عائشة كي لا تدّعي إحداهن بأنها من آله وأهل بيته الذين حددهم القرآن وليس الذين يحددهم المجتمع فيكون المعنى مجازي وذلك بالرجوع إلى العِشرة والمودة فقد يصبح إثنان من الناس وبسبب العِشرة الطيبة بأنهم أهل ولعل المودة والأخلاق الحميدة تجعلهم قريبين إلى القلب بأكثر مما يمتاز به أهل البيت الواحد الذين تربطهم رابطة الدم.

ولذلك:

المراد بآل النبي وأهل بيته هم أولئك الأربعة وليس أزواجه أو أقرباءه أو أحبابه وخلانه وأصحابه وإن كان لأحدهم مكانة في نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذا لا يعني أنهم من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين حرم عليهم الصدقة.

من هنا:

ندرك حكمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخدام الكساء في دار أم سلمة أو عائشة أو غيرها وندرك أيضاً معنى أن يجمع النبي أطراف هذا الكساء ويمنع أم سلمة من الدخول تحته وقوله لها أنك على خير.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٣٠٤.

ثانياً - مقاصدية القرآن والسُنّة بتلازم حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحب فاطمة وبعلها وولديها.

يمضي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في إظهار منزلة فاطمة (عليها السلام) لديه وذلك عبر بيانه لقصدية القرآن أن حب فاطمة وبعلها وبنيها هو متلازم مع حبه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ثمّ فإن هذا الحب يقود إلى غاية شرعية أظهرها القرآن الكريم وهو ضمن العناوين الآتية:

ألف - إنّ المراد من الحب الإتباع.

إن هذا العنوان الشرعي المبين لإحدى دلالات الحب، وهو الإتباع جاء من خلال القرآن الكريم كما هو واضح في قوله تعالى:

﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[1].

بمعنى: لا يمكن أن ينزرع حب الله في قلب أي إنسان وينمو ويعطي ثماره ما لم يكن هناك إتباع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ بل لا معنى للحب بدون الإتباع وهو ما عليه الوجدان الإنساني والسيرة العُقلائية، بل يكفي لو تأمل الإنسان أن ذلك سنة كونية جرت في النبات والحيوان وإن اختلف المحرك في الإتباع بين الفطرة والغريزة والحب، فعندها يكون الحب في الموجودات فطري وغرائزي يدفع الإنسان إلى ما يحب حتى وإن اختلفت الأهداف فقد يكون الإنسان محب للشهوات لكنه في طبيعته وفطرته يندفع لهذه الشهوات ويتبع كل ما يحقق له إشباع هذا الحب.

---

(١) سورة آل عمران، ألآية: ٣١.

ولذلك: وجود الحب يقتضي الإتباع وبدون الإتباع لا معنى للقائل بأنه يحب وذلك لأنه يكون قد خالف الفطرة التي فطر الله عليها الموجودات، بل كلما كان الحب أكبر كلما كان الإتباع أشد حتى لا يستطيع المحب الانفكاك عن المحب، بل حتى يكون صورة له في أفعاله وأقواله وهديه وسمته وسننه، وهذا الذي يريده القرآن من حب الله وحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أي أن يكون المحب ـ وبحسب ـ مستوى هذا الحب صورة تحاكي المحب في الهدي والسمت والسُنّة.

من هنا:

حينما نأتي إلى معرفة أولئك الذين كانوا مصداقاً للحب النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك أنهم كانوا يمثلون في فعلهم وقولهم وهديهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنا لا يمكن أن نتعدى أهل بيته (عليهم السلام) وذلك حسبما أكدته النصوص ودلت عليه الروايات.

١- روى الترمذي عن عائشة قال:

(ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلا وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم)[1].

والحديث يكشف عن رتبة فاطمة (عليها السلام) ومنزلتها الاتباعية لهدي

(١) سنن الترمذي: ج٥، ص٣٦١؛ فضائل الصحابة للنسائي: ص٧٨؛ المستدرك للحاكم: ج٤، ص٢٧٢؛ فتح الباري لابن حجر: ج٨، ص١٠٣؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٥، ص٩٦؛ نصب الراية للزيلعي: ج٦، ص١٥٦؛ مطالب السؤول لابن طلحة: ص٣٦؛ سبل الهدى والرشاد للشامي: ج١١، ص٤٦.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته، فلم يكن أحد بعد علي بن أبي طالب (عليه السلام) -كما سيمر- في مثل إتباعها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أصبحت تشابهه في سمته ودله وهديه فكان الناظر إليها يخال نفسه ينظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢- وفي سُنّة الإتباع التي فطر الله تعالى عليها الخلق فكان الحب قائد المرء في إتباعه للأشياء هو درجة حبه لها، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يكشف للناس لاسيما أولئك الذين يدعون أنهم يحبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم أبعد الخلق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حجم حبه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أصبح المصداق الأول لهذه السُنّة في الإسلام فيقول:

«ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به؛ ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري؛ ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

فقال: هذا الشيطان أيس حق عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير»[١].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: ج٢، ص١٥٧.

إذن:

يقتضي حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإتباع كما دلّ عليه القرآن والسُنّة وسيرة العقلاء، وأن أشد الناس حباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي وفاطمة وولديهما (عليهم السلام) فقد كان مصداق هذا الحب من خلال الإتباع المطبق لهدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمته وسنته وخلقه.

باء - إنّ المراد من حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإيمان به.

يطرح القرآن قضية حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إطار آخر وتحت عنوان شرعي جديد إلاّ وهو الإيمان بالله تعالى إذ يبدأ القرآن في أول الأمر عند تأسيس هذا العنوان الشرعي والبنائي للمجتمع المسلم عبر بيان أن الإيمان هو عين الحب لله تعالى، ومن ثمّ فالذين أمنوا هم أشد الناس حباً لله تعالى كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ...﴾[١].

ثم يمضي القرآن في التأسيس لهذا العنوان الشرعي في نفوس الناس كي يتم بناء المجتمع الأنموذج الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيكون مصداقا لقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾[1].

وذلك عبر ترسيخ حب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقديمه على كل شيء تعلق به الإنسان في الحياة وارتبط به.

فيقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

وهذا التأسيس والبناء للعقيدة الإسلامية وبهذه الكيفية التي يطرحها القرآن ويريدها الله تبارك اسمه فيكون حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرتكز على الإيمان به وإن مراتب هذا الإيمان مرتبطة بمراتب هذا الحب كما هو مبين في الآية الكريمة عبر الروابط النفسية والروحية والاجتماعية التي يرتبط بها الإنسان فتعلق بها، بل ويصرف في بقائها ودوامها الكثير من متعلقاته الأخرى وذلك بحسب التفاوت القائم لدى كل إنسان فيما يرتبط به من علاقة أبوية أو أخوية أو والدية أو قرابية أو زوجية أو مالية، كما هو منصوص عليه في الآية المباركة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

فهذه العلائق تتفاوت الناس في التعاطي معها والارتباط بها حتى تأتي العلاقة بالله ورسوله متأخرة أو متقدمة بحسب الإيمان الذي يختلج في قلب الإنسان.

وعليه:

يجعل القرآن حب الله ورسوله والجهاد في سبيله هو المقدم على هذه العلائق التي ارتبط بها الإنسان وأحبها وتفاوتت فيما بينها لديه في الحب والأهمية فقد يكون المال أحب جميع هذه الأشياء وقد يكون الأبناء وقد تكون الزوجة.

إلاّ أن المنهج القرآني في بناء العقيدة الإسلامية للمسلم هو أن يكون حب الله ورسوله هو العنوان الأول والأساس فيما يرتبط بالإنسان من أشياء عديدة.

ثم ليأتي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذا النص القرآني ليبين للناس وللمسلمين تحديداً وفي إطار العقيدة القرآنية التي أرادت أن يبنى الإسلام عليها أن يكون حب فاطمة وعلي وولديهما (عليهم السلام) هو تبع لحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ بل لا يمكن أن يصدق عنوان الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن هناك حب لفاطمة وعلي وولديهما (عليهم السلام) كما نصت عليه الأحاديث النبوية الشريفة فكانت كالآتي:

١- روى ابن عساكر وغيره عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمرت فاطمة (عليها السلام) وهي خارجة من بيتها إلى حجرة نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعها إبناها الحسن

والحسين (عليهم السلام) وعلي في أثرهم فنظر إليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

«من أحب هؤلاء فقد أحبني ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضني»[١].

٢- روى الشيخ الصدوق والطوسي والترمذي والحاكم والبخاري وغيرهم، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أحبوا الله لما يغدوكم به-(يغذوكم)- من نعمة، وأحبوني لحُب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[٢].

٣- روى ابن تيمية وغيره عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعمه العباس:

«والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي»[٣].

٤- روى ابن أبي شيبة الكوفي، والطبراني وابن عساكر وغيرهم، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص١٥٤؛ كنز العمال للهندي: ج١٢، ص١٠٣؛ كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٥٢٥؛ سبل الهدى للصالحي الشامي: ج١١، ص٥٧.

(٢) الأمالي للصدوق ص٤٤٦؛ الأمالي للطوسي: ص٦٣٣؛ سنن لترمذي: ج٥، ص٣٣٠-٣٢٩؛ المستدرك للحاكم: ج٣، ص١٥٠ التاريخ الكبير للبخاري: ج١، ص١٨٣؛ تفسير ابن كثير: ج٤، ص١٢٣؛ الآداب للبيهقي: ج٢، ص٢٣؛ الدر المنثور: ج٦، ص٧؛ شعب الايمان للبيهقي: ج١ ص٣٦٦.

(٣) الوصية الكبرى لابن تيمية: ص٢٩٧؛ البحر الزخار: ج٦، ص١٣١، حديث ٢١٧٥؛ القول القيم لابن القيم: ص١٢.

«لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتي، أترجو سلهب شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب»[1].

٥- روى أحمد بن حنبل، ومحمد بن سليمان الكوفي، والترمذي، والحاكم النيسابوري، وغيرهم بطرق عدة، منها ما رواه أحمد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقى بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا، لقونا بوجوه لا نعرفها؟!

قال: فغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غضباً شديداً، وقال:

«والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»[2].

والملاحظ في الحديث بعض النقاط منها:

أ: تخصيص الإيمان بالله تعالى وأنه مرهون بحب أهل البيت (عليهم السلام)، أي يكون حب كل رجل أو امرأة لأهل البيت (عليهم السلام) خالصاً لله تعالى وإن كانوا يجدون من يقول بخلافهم وإن كانوا أقرب الناس

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٧، ص٥١٨؛ المعجم الكبير للطبراني: ج١١، ص٣٤٣؛ كنز العمال: ج١٢، ص٤١؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٢٦، ٣٣٧؛ تاريخ المدينة لابن شبة النميري: ج٢، ص٦٤٠؛ رأس الإمام الحسين لابن تيمية: ص٢٠١؛ ينابيع المودة للقندوزي الشافعي: ج٢، ص١١٢؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٢٤، ص٢٣٥.

(٢) مسند أحمد: ج١، ص٢٠٧؛ وج٤، ص١٦٥؛ المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي: ج٢، ص١٢٢؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٣١٨؛ سنن ابن ماجة: ج١، ص٥٠؛ فضائل الصحابة للنسائي، ص٢٣؛ المستدرك للحاكم: ج٣، ص٣٣٣؛ المعجم الكبير للطبراني: ص٢٨٥؛ تهذيب الخصائص للسيوطي: ص٤٣٢؛ الشفا للقاضي عياض: ج٢، ص٤٨؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج١، ص٩٢.

إليهم كآبائهم وأبنائهم كما نصت الآية الكريمة التي مرّ ذكرها.

ب: إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يغضب غضباً شديداً لتغير وجوه قريش في وجه عمه العباس وذلك لما أحدثه الإسلام من تغيرات في المجتمع فكيف يكون حاله عند قتل ابنته فاطمة وولدها (عليهم السلام) على النحو المعروف ــ نعوذ بالله من سوء المنقلب ومن غضب الله وغضب رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ــ.

ج: من البديهي أن أسباب حصول الغضب يضادها أسباب حصول الرضا، بمعنى: كلما زاد إيمان الإنسان كلما زاد حباً لأهل البيت (عليهم السلام) وكلما كان الحرص أشد على خدمتهم وإدخال السرور عليهم فإن بذلك إدخال للسرور على قلب سيد الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم).

٦- روى أحمد بن حنبل، والترمذي، والدولابي، والطبراني جميعاً عن علي بن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد بن علي الباقر عن أبيه الإمام علي بن الحسين عن أبيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قال:

«إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد حسن وحسين (عليهما السلام) فقال:

من أحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[1].

---

(١) مسائل علي بن جعفر: ص٥٠؛ كامل الزيارات: ص١١٧؛ أمالي الصدوق: ص٢٩٩؛ مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٧٨؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٣٠٥؛ تحفة الأحوذي:

والحديث الشريف يجمع ما قدمناه من دلالات في أن معنى الحب هو الإتباع والاقتداء والهدي بهؤلاء إلى المستوى الذي يكون الشخص بسمته وطريقة معيشته وتعامله مع الناس صورة حاكية عن الحسن والحسين وعلي وفاطمة (عليهم السلام) فمن استطاع أن يصل إلى هذا المستوى من الحب فإنه لا شك وبنص الحديث النبوي الشريف سينال من الرضا والقرب الإلهي ما يجعله مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجنة في الدرجة التي أعدها الله تعالى لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في جنة عدن أو الفردوس لأنه قد بلغ رتبة من التقوى العملية مكنته من الوصول إلى هذه المنزلة.

ثالثاً - تلازم بغض فاطمة وبعلها وولديها ببغض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ من السنن الكونية التي أوجدها الله تعالى في الخلق هي سُنّة التضاد، وهذه السُنّة قرن الله تعالى بها نظام الاستقامة في الحياة؛ بمعنى إما أن يعتدل الإنسان بفعل هذه السُنّة في سلوكياته ومسيرته وتعايشه في الحياة.

وإما أنه يميل إلى أحد المتناقضين فيكتسب من أحدهما طاقته ودوامه وعنوانه الحياتي فيكون ملاصقاً له؛ بل يصبح أحد أدواته الفاعلة والمؤثرة في الحياة.

ج١، ص١٦٣؛ الذرية الطاهرة للدولأبي: ص١٦٧؛ المعجم الصغير للطبراني: ج٢، ص٧٠؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص٥٠؛ نظم درر السمطين للزرندي: ص٢١٠؛ كنز العمال للهندي: ج١٢، ص٩٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ج١٣، ص١٩٦؛ تهذيب الكمال للمزي: ج٦، ص٢٢٨؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١٠، ص٢٨٤؛ ذكر أخبار اصبهان للحافظ الأصبهاني: ج١، ص١٩٢.

ومثال ذلك الخير والشر، والجهل والعلم والصدق والكذب، والإيمان والكفر، والحب والبغض، فإما أن يكون الإنسان معالجاً للجهل بالعلم، وللكذب بالصدق، وللكفر بالإيمان، وللبغض بالحب، وإما أنه يميل إلى أحد هذين القطبين فيكون متصفاً به، وعنواناً له، فيصبح إما شريراً أو خيراً وإما عالماً أو جاهلاً، أو محباً أو مبغضاً.

وهنا:

في مسألة حب فاطمة وبعلها وولديهما (عليهم السلام) لا يمكن أن يكون الإنسان يحمل مثقال ذرة من حبهما، ومثقال ذرة من بغضهما في آن واحد؛ فحالهما أي الحب والبغض حال الإيمان والكفر، فمثقال من الكفر يؤدي إلى الهلاك ومثقال من الخير يؤدي إلى النجاة كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

وفي حب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبغضهم تظهر الخطورة العظمى حيث يندرج الإنسان ضمن قائمة الضالين الذين غضب الله عليهم كما دلت عليه النصوص الشريفة، فمنها:

١- عن أبي الجارود عن أبي عبد الله الحداي قال: قال لي أمير المؤمنين (عليه السلام):

«يا أبا عبد الله ألا أخبرك بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة، وبالسيئة التي من جاء بها كب على وجهه في جهنم؟».

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ و ٨.

قلت: بلى يا أمير المؤمنين، فقال:

«الحسنة حبنا، والسيئة بغضنا أهل البيت»)[1].

٢- روى الشيخ الطوسي عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم (عليه السلام) فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمّد اشمأزت قلوبهم؟، والذي نفس محمد بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي»[2].

٣- عن أبي حمزة الثمالي قال: (كنت مع أبي جعفر (عليه السلام)، فقلت:

جعلت فداك يبن رسول الله: قد يصوم الرجل النهار، ويقوم الليل، ويتصدق، ولا يعرف منه إلا خيراً، إلا أنه لا يعرف الولاية، قال: فتبسم أبو جعفر (عليه السلام) وقال:

«يا ثابت إنا في أفضل بقعة على ظهر الأرض، لو أن عبداً لم يزل ساجداً بين الركن والمقام حتى يفارق الدنيا لم يعرف ولايتنا، لم ينفعه ذلك شيئاً»)[3].

(١) المحاسن للبرقي: ج١، ص١٥٠؛ دعائم الإسلام للقاضي المغربي: ج١، ص٧١؛ الأمالي للطوسي: ص٤٩٣؛ تفسير الثعلبي: ج٧، ص٢٣٠؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١، ص٥٤٨؛ كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٣٢٨؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج١، ص٢٩١.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ص١٤٠؛ كشف الغمة للأربلي: ج٢، ص١١.

(٣) الأصول الستة عشر بتحقيق المحمودي: ص٣٣٣؛ تفسير أبي حمزة الثمالي: ص١٣٧؛ مستدرك الوسائل: ج١، ص١٥١.

من هنا:

نجد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قرن هذا الحب -وبلحاظ هذه السُنّة السلوكية- بالبغض فمن أحبهم فقد أبغض أعدائهم، ومن أبغضهم أحب أعدائهم؛ وذلك أن المؤمن ينجذب إلى الخير، سريع الالتحاق بأهله، ويأنس بهم ويستوحش من غيرهم؛ والحال نفسه قائم عند الكافر فهو يستوحش من أهل الخير، سريع الفرار منهم، بل نجده يشمئز من الإيمان والذكر كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[١].

وهذه الحالة النفسية التي يمكن ملاحظتها في جميع الأزمنة نجدها متجسدة في المؤمن والكافر وتنعكس على حاله وأفعاله؛ بل نجدها لتتضاعف معه حتى يصبح المؤمن سلم لمن سالم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وحرب لمن حارب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك لتلازم الإيمان بالحب، والبغض بالنفاق فيكون إما من أهل الإيمان، وإما من أهل النفاق، فيسالم أهل سنخه ويعادي أهل نقيضه.

ولعل كثير من النصوص الصريحة والواضحة في هذا الجانب تقطع الطريق على المتأولين في دفع المسلم عن مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحديد المسار والعلاقة مع أهل البيت (عليهم السلام)، فكان منها:

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

١- روى الزرندي، وابن حجر، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي، ومن أحب أن ينسأ له في أجله، وأن يتمتع بما خوّله الله، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر الله عمره، وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجه»[(١)].

٢- روى أبو يعلى الموصلي (عن بن حوشب الحنفي، قال:

حدثتني أم سلمة قالت: ثم جاءت فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه -وآله- وسلم) إلى رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) متوركة الحسن والحسين، في يدها برمة للحسن فيها سخين حتى أتت بها النبي (صلى الله عليه -وآله- وسلم)، فلما وضعتها قدامه قال لها:

«أين أبو الحسن».

قالت:

«في البيت».

فدعاه، فجلس النبي (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون.

قالت أم سلمة:

---

(١) نظم درر السمطين للزرندي: ص٢٣١؛ الإصابة لابن حجر: ج١، ص٤٠٦؛ فيض القدير للمناوي: ج٢، ص٢٢٠؛ كنز العمال: ج١٢، ص٩٩.

وما سامني النبي (صلى الله عليه -وآله- وسلم) وما أكل طعاماً قط إلا وأنا عنده إلاّ ساميته قبل ذلك اليوم[١].

فلما فرغ التف عليهم بثوبه ثم قال:

«**اللهم عادِ من عاداهم ووالِ من والاهم**»)[٢].

ويمضي النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان تلازم الحب والبغض وارتباطهما الإيماني والنفاقي، فيبين للمسلمين إن حب أهل بيته هو عين حبه (صلى الله عليه وآله وسلم) -كما أسلفنا- وإن بغضهم هو عين بغضه -والعياذ بالله-.

ولشدت حرص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في إيصال هذا الحكم إلى الناس وحثّهم على العمل به تعدد منه صدور هذا الحكم الشرعي بنحوي المجمل والمفصل؛ فمرة يخص بهذا الحكم الشرعي الحسن والحسين (عليهما السلام) فيقتصر على ذكرهما فيظهر تلازم حبهما بحبه وبغضهما ببغضه؛ ومرة أخرى يخص بالذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومرة ثالثة بفاطمة، ورابعة بهم جميعاً.

والظاهر -كذلك- من سيل الروايات الكثيرة في هذا الخصوص أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يترك موقفاً أو مناسبة إلا وقد صرّح للمسلمين بهذا الحكم الشرعي كي يلتفت المسلمون إلى خطورة هذا العنوان، وذلك لما

---

(١) بسامني: دعاني إليه.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي: ج١٢، ص٣٨٤؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٣٣، ص٩٢.

يترتب عليه من صلاح لهذه الأمة أو فسادها وضلالها.

ولذلك:

نجد أن السبب في تعدد هذه الأحاديث وكثرتها، هو لما ذكرناه، فكان من هذه الأحاديث ما يلي:

١- أخرج أحمد في المسند عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم:

«من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

يعني حسناً وحسيناً)[١].

ولا يخفى على اللبيب إن ما يترتب على الحب من عناوين شرعية وروحية واجتماعية يترتب على البغض كذلك.

٢- وعن عبد الرحمن بن مسعود، عن أبي هريرة، قال: (خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة، ويلثم هذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما؟ فقال:

«من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»)[٢].

وفي حبه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٢٨٨؛ فضائل الصحابة للنسائي: ص٢٠.

(٢) مسند أحمد: ج٢، ص٤٤٠؛ سنن ابن ماجة: ج١، ص٢١؛ مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٦٦.

وما يترتب على المسلم من حكم شرعي من التلازم بين حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن بغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فقد بغض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روى الحاكم في المستدرك، عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال:

(قال رجل لسلمان: ما أشد حبّك لعلي؟

-فقال سلمان-: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«**من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني**»)[1].

والحديث واضح الدلالة في أن شدة حب سلمان لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إنما في حقيقته هو حبه الشديد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن هنا:

فإن الذين كانوا يبغضون علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهم يبغضون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك للملازمة بين حبيهما وبغضيهما؛ أي: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

فمن يدعي حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لزم منه حب علي (عليه السلام)، فضلاً عن مفاهيم الحب ومصاديقه كـ:(الإتباع، والإيمان، والموالاة، والنصرة، والسلم) وغيرها، وفضلاً عن نقائض هذه المصاديق كـ(التخلي، والكفر، والبراءة، والخذلان، والحرب) وغيرها، فمن اتبعهم تخلى

(١) مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٣٠.

عن غيرهم، ومن آمن بهم كفر بغيرهم، ومن والاهم تبرأ من أعداءهم ومخالفيهم، ومن نصرهم خذل غيرهم، ومن سالمهم حارب غيرهم إن كانوا حرب لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولأجل ذلك:

وما يترتب عليه من تحديد للهوية الإسلامية والأخروية حينما يقف المسلم بين يدي الله تعالى، لقوله سبحانه:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

عن آل محمد كيف خلفوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم، كان كل هذا التشديد والتحذير من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

١- روى القندوزي عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، رفعه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال له:

«يا سلمان من أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة موطن أيسر تلك المواطن: الموت، والقبر، والميزان، والصراط، والحساب، فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضى الله تعالى عنه، ومن غضبت ابنتي فاطمة عليه غضبت عليه ومن غضبت عليه غضب الله عليه».

«يا سلمان، ويل لمن ظلمها ويظلم بعلها عليا، وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها»[1].

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص٣٣٢؛ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: ج١، ص٢٠.

٢- روى القاضي عياض في الشفا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال:

«معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب»[١].

٣- روى الحافظ الخركوشي في شرف المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقندوزي عن علي (عليه السلام)، قال:

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله عزّ وجل، ومن أعان على أذاهم وركن إلى عدوهم فقد أذن بحرب من الله، ولا نصيب له غداً في شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»[٢].

٤- أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله (عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إنّ علياً وصيي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداي، من والاهم فقد والاني،

(١) الشفا بتعريف المصطفى للقاضي عياض: ج٢، ص٤٨؛ العجاجة الزرنبية للسيوطي: ص٣٣؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج١، ص٧؛ وج٢، ص٢٥٤.

(٢) شرف المصطفى للحافظ الخركوشي (مخطوط) يرقد في مكتبة الأسد الوطنية تحت الرقم (١٨٨٧) ويحمل رقم المصغر الفيلمي (٤٨٩١) الورقة ١٨٠، من جهة اليمين؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص٨١؛ كتاب الأربعين للقمي الشيرازي: ص٤٧٢؛ شرح إحقاق الحق: ج٩، ص٤٦٧.

ومن عاداهم فقد عاداني، ومن ناواهم فقد ناواني، ومن جفاهم فقد جفاني، ومن برهم فقد برني، وصل الله من وصلهم، وقطع من قطعهم، ونصر من نصرهم، وأعان من أعانهم، وخذل من خذلهم، اللهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت، فعلي وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»)[1].

رابعاً ـ منهج الوحي والنبي (صلى الله عليه وآله) في تبليغ الرسالة بين تذكير الأمة وانفلات العامة.

مثلما كان هناك تلازماً بين فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وقول الوحي فإن المنهج التبليغي الذي جاء به الوحي وعمل به النبي كان يرتكز على الملازمة أيضاً؛ فبين نهي القرآن وتذكيره كان المنهج النبوي يدور في نفس فلك المنهج القرآني.

ففي التذكير كمنهج نص عليه الوحي في محكم التنزيل ضمن مجموعة من الآيات، منها:

١- قوله سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم):

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[2].

٢- قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[3].

---

(١) الأمالي للصدوق: ص٤٧٣.
(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ٩.

٣- قال عزّ وجل:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[1].

فكان هذا المنهج القرآني الذي حدد للمصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الأسلوب في تبليغ الرسالة تبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبناءً على ما أمره الله به فقد كان مذكراً للأمة بآل بيته وكيفية التعامل معهم وبيان شأنهم ومنزلتهم في الشريعة ودورهم الرسالي في الأمة.

فقام بتذكيرهم بأهل بيته فحذر وأنذر وأبلغ وأعذر فكان مما ذكر به ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم إنه قال:

(أقام رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

«أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به».

فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال:

«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»)[2].

فهذا النهج الذي سار به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الأمة

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢١.

(٢) صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٣.

تبعه بمقتضيات أخرى تصب في نفس المعين لينجوا المسلمون من الوقوع في الضلال حينما ينزلقوا خلف انفلات العامة من حدود الله تعالى والعمل بشريعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقام (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتحذير من التعرض لتلك الحدود التي فرضها الإسلام وأوجب على المسلم الالتزام بها، فكان التحذير واحداً من مصاديق التذكير الذي أمر به القرآن وعمل به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جملة من الأحاديث الكاشفة عن منع وقوع الأمة في الانفلات من هذه الضوابط الشرعية والحدود الإلهية كما وقع فيه الإعراب والعوام.

وفي ذلك روى الشيخ الصدوق، والترمذي، والحاكم النيسابوري، والطبراني، وغيرهم، عن زيد بن أرقم أنه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي وفاطمة والحسن والحسين:

«أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»)[1].

والتحذير الذي قدمه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للأمة لم يكن محصوراً بزمن محدد بل تكشف الروايات عن أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حدد لهذه الأمة موضعه (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل بيته ومنذ أن تكوّن بيت علي وفاطمة (عليها السلام).

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢، ص٥٩؛ كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٤٥٢-٤٥٣؛ الأمالي للطوسي: ص٣٣٦؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٣٦٠؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٤٩؛ المعجم الأوسط للطبراني: ج٥، ص١٨٢؛ موارد الضمآن للهيثمي: ص٥٥٥؛ سنن ابن ماجة: ج١، ص٥٢، حديث ١٤٥.

فعن عطية العوفي (عن أبي سعيد الخدري، قال: لما دخل علي بفاطمة جاء النبي (صلى الله عليه -وآله- وسلم) أربعين صباحاً إلى بابها فيقول:

«أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»)[1].

ويدل وقوف النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) على باب علي وفاطمة هذه المدة الزمنية التي حددتها الرواية بالأربعين صباحاً على حكمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دفع الالتباس أو الجهل عن المسلمين في تحديد موقعه (صلى الله عليه وآله وسلم) الشرعي من أهل بيته، فمن حاربهم إنما يحارب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحاربه؛ ومن سالمهم كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سلماً له.

والظاهر من الرواية أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ابتدأ مع المسلمين في منهاجه التذكيري والتحذيري من موقع الحكم الشرعي، بمعنى: أظهر لهم وذكَّرهم وحذَّرهم في الحرب والسلم لهؤلاء قبل أن يحدد للمسلمين من هم أهل بيته.

بمعنى آخر: إن تحديده لأهل بيته ظهر للمسلمين بعد ولادة فاطمة (عليها السلام) للحسن والحسين (عليهم السلام) أما قبل ولادتها لهما فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدد الموقع الشرعي لهذا البيت الذي تكوّن بعلي وفاطمة (عليهما السلام).

---

(١) فضائل سيدة النساء لعمرو بن شاهين: ص٢٩؛ تفسير فرات الكوفي: ٣٣٨؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج٢،ص٤٤.

والهدف في ذلك تحديد الحدود الشرعية الكاشفة عن عظم هذا البيت وأهله ومنزلتهم عند الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن كان يؤمن بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي: إن الخطاب موجه للمسلمين وليس للمشركين، بمعنى: (استحق من حاربهم اسم المحارب لله ورسوله وإن لم يكن مشركاً)[1].

وهو حكم قرآني أشار إليه الجصاص (المتوفى سنة ٣٠٧هـ) وتغافل عنه الكثيرين تسترا على ما قام به بعض الرموز من الصحابة في محاربتهم لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

المسألة الثانية: مقاصدية الحديث النبوي في اختصاص فاطمة (عليها السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

يتفاوت الناس في الشرافة حينما يقترنون بالعظماء، والعظماء يختلفون بحسب المعطيات الثقافية لدى الناس، فقد يكون المرء عظيما في الملك أو المال أو العلم أو الحسب أو الأدب أو غير ذلك.

لكنما الأمر الذي تسالم عليه العقلاء ــ بلحاظ ــ دوام العظمة هو ما اقترن بالآخرة والشريعة والقداسة؛ فتلك قد كتب لها الدوام وإن اختلفت التوجهات والأفكار عند الناس.

ولذا:

يحرص الكثيرون على الالتصاق بالشرائع السماوية أو الروحية أو الدينية

(١) أحكام القرآن للجصاص: ج٢، ص٥٠٨.

كي يكتسبوا من تلك الشرائع شرفاً أو تشريفاً لينالوا حظهم الأوفر من التعظيم وإظهار منزلتهم وفقاً لمواضعهم وأماكنهم من العظماء.

ولا شك: أن أعظم الناس هم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) وذلك لتوفر جميع عناصر العظمة بهم ابتداءً من اختصاصهم بالله تعالى وانتهاءً بما لديهم في الآخرة حيث الحياة الأبدية من الوجاهة والمنزلة لاسيما وإن القرآن الكريم يرشد العاقل إلى هذه الحقيقة في آيات عدة، منها:

١- قال تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١].

٢- وقال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٢].

٣- وقال عزّ وجل:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٣].

وغيرها من الآيات المباركة الكاشفة عن منازل الأنبياء (عليهم السلام) عند الله تعالى مما يجعل الذين يعاصرون الأنبياء ويؤمنون بهم يتنافسون ـ

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦ و ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٣) سورة التكوير، الآيات: ١٩ و ٢٠ و ٢١.

كلا حسب إيمانه ـ في الالتصاق بالنبي، وإحراز عناوين شرعية يرتقي بها أصحابها بين الناس، فيفاض عليهم من عظمتها وقدسيتها.

وهؤلاء الملتصقون بالأنبياء (عليهم السلام) صنفان، صنف شاء أن يحظى بمكاسب دنيوية بين الناس بما للقرب من الحظرة النبوية من آثار اجتماعية ونفسية وروحية على المؤمنين، فضلاً عن اكتساب الحصانة حيناً والذريعة حيناً آخر في تمشية المصالح الشخصية، كما كان في حال السامري في بني إسرائيل وحال غيره في الأمم السابقة وهذه الأمة.

والصنف الآخر كان التصاقه بالأنبياء (عليهم السلام) التصاق سنخي لتلازم الإيمان والطهر والصدق فيكون شأنهم مدعماً بالآيات والبراهين الإلهية لأنهم نصروا الله فنصرهم.

ومن بين هؤلاء الذين التصقوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي فاطمة وبعلها وولديها (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد أسلفنا أنهم مع ما لهم من صلة الرحم والدم والقرابة القريبة، فهم الأهل والآل والعترة، ومع هذا كله لهم خصوصية الشريعة المرتكزة على التقوى والطاعة لله تعالى فكانوا بعد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حجج الله على العالمين وأئمة على الخلق أجمعين.

من هنا:

كان لفاطمة التصاقاً سنخياً بشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجميع ما أحيط بهذه الشخصية من عبودية لله ورسالة ونبوة وإمامة وحرمة

وطاعة وعصمة ومنزلة عند الله تعالى إلا أنه لا نبوة ولا رسالة بعد النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

بمعنى:

لا يمكن أن ينال الإنسان تلك العظمة ما لم يكن مرتبطاً بالله تعالى؛ وحيث أن الارتباط الإلهي يكشفه القرآن في درجات ومراتب حددها الوحي عن الله تعالى فكانت في قمة الارتقاء هي العبودية المحضة لله، فإن النبوة والرسالة والإمامة تأتي تبعاً لما ينال الإنسان من حظه في سلم العبودية لله عز وجل مما يكشف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أعبد الخلق للخالق وأن جمعه لجميع ما دون هذه الرتبة هو من ثمار تلك العبودية، وأن فاطمة قد نالت من تلك الدرجات والمراتب ـ بما للمصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ ابعاض منها وهو ما دلّ عليه الحديث النبوي الشريف المعروف بحديث البضعة، الذي تناقلته الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها[1].

بمعنى آخر:

حينما ننظر إلى شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن نظرتنا إليه يقومها النص القرآني الذي أعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء والمرسلين إذ يكفي في ذلك قول تعالى:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2].

---

(١) صحيح البخاري، باب: مناقب المهاجرين، ج٤، ص٢١٠؛ صحيح مسلم: ج٤، ص١٤٠، مسند أحمد: ج٤، ص٣٢٨.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٨ و ٩.

ومن ثم: فإن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث البضعة لا يندرج ضمن الحدود المادية التي تنم عن ضيق الفهم وعسر الاستيعاب وعمى البصيرة وذلك أن شخوص الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) يتعامل معهم بما أحرزوا من الشأنية عند الله تعالى لا على أساس الفناء الملاصق للمادة وولادتها من رحم الحياة الدنيا.

بل: تسالم العقلاء في تقييمهم وتعظيمهم للرموز من خلال ما يتصف به أولئك الرموز من عناوين روحية وشرعية ودينية وقدسية.

من هنا:

كان لفاطمة تلك الملاصقة مع شخص النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت بعضاً من رتبة العبودية التي نالها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعضاً من الرسالة والنبوة والإمامة والنذارة والبشارة والشهودية وغيرها مما أوتي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

وإلا فإن حديث البضعة بخلاف هذه المفاهيم يصبح مجوفاً من الروح لا حياة فيه لا طريق لديه في قلوب قد ران عليها الكفر وطبع عليها النفاق فهم لا يفقهون.

ومن هنا أيضا:

لم يكتف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان منزلة فاطمة (عليها السلام) ضمن تلك المفاهيم القرآنية بحديث البضعة وإنما أردفه بأحاديث أخرى تسوق الذهن فيسلّم القلب إلى أنها بلغت من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مبلغاً عظيماً فكانت الأحاديث كالآتي:

أولاً - تعدد ألفاظ الحديث النبوي في قصدية البضعة.

يعد حديث البضعة من الأحاديث المشهورة لورودها في عدد كبير من المصادر الإسلامية إلاّ أن التثقيف عليه وبيان دلالاته يعد قليلاً جداً حتى يكاد المسلم حينما يسمع به في بعض المحافل يحسبه من الأحاديث المندثرة أو الغير صحيحة لعزوف أصحاب المنابر في العالم الإسلامي لاسيما أبناء السُنّة عنه وكأنه لا يعني لهم شيئاً أو هو مما يشكل إرباكاً في منهجهم العقدي كي لا يعد المتكلم به من المتشيعين لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

والحديث الشريف ورد بألفاظ عديدة مما يكشف عن كثرة تكرار صدوره من الحضرة النبوية كي يرسخ في أذهان المسلمين ما لفاطمة من المنزلة الشرعية والروحية في الإسلام فكانت ألفاظ الحديث على النحو الآتي:

١- أخرجه البخاري في الصحيح عن المسور بن مخرمة: بألفاظ عدة:

أ: إنّ رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) قال:

«**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**»[١].

ب: وبلفظ:

«**وإنّ فاطمة بضعة مني وأني أكره أن يسؤها**»[٢].

ج: ولفظ آخر:

---

(١) صحيح البخاري، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم: ج٤، ص٢١٠.
(٢) صحيح البخاري، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم: ج٤، ص٢١٢.

«فإنما هي بضعة مني يُريبني ما أرابها»[1].

٢- أخرجه مسلم النيسابوري عن المسور بن مخرمة بألفاظ عدة:

أ: قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»[2].

ب: وبلفظ آخر:

«فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رآبها ويؤذيني ما آذاها»[3].

٣- أخرجه أحمد بن حنبل بلفظ:

أ: عنه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال:

«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها»[4].

ب: وبلفظ آخر:

«إنما فاطمة بضعة مني وإني أكره أن تفتنوها»[5].

٤- أخرجه سليم بن قيس الهلالي عن فاطمة عليها السلام أنها سألت أبي بكر وعمر فقالت:

---

(١) صحيح البخاري، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم: ج١، ص١٥٨.

(٢) صحيح مسلم: ج٧، ص١٤١، باب: فضائل فاطمة عليها السلام.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) مسند أحمد: ج٤، ص٥، من حديث عبد الله بن الزبير.

(٥) المصدر السابق نفسه.

«نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني؟».

قالا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء فقالت:

«اللهم إنّهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك»[(١)].

وغيرها من الألفاظ التي تناقلتها الرواة[(٢)].

فكان هذا الحديث من الأحاديث الدالة على ارتباطها عليها السلام بشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً – قصدية الحديث النبوي في أن فاطمة (عليها السلام): (شُجْنَة منه (صلى الله عليه وآله وسلم)).

إن من الملاحظ في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان خصوصية فاطمة (عليها السلام) لديه ومنزلتها عنده استخدامه لألفاظ

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٣٩٢.

(٢) أنظر في تعدد ألفاظ حديث البضعة: مناقب ابن المغازلي: ص٢٨٢، حديث ٣٢٧؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٥٨؛ المناقب للخوارزمي: ص٣٣٥؛ سنن البيهقي: ج٧، ص٦٤؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٢٠، ص١٨؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨، ص٢٠٦؛ مسند البزار: ج٦، ص١٦٩، حديث ١٩٣٨؛ اتحاف السائل للمناوي: ج١، ص٧؛ مختصر صفة الصفوة لابن الجوزي: ص١٢١؛ فضل آل البيت للمقريزي: ص٣٧؛ الفتح الرباني للساعاتي: ج٢٢، ص٩٣؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج١٢، ص١٢٦؛ الروض الأُنف: ج١، ص٢٧٩؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص٣٢٧؛ الشفا للقاضي عياض: ج٢، ص٥٧٤؛ البحر الزخار: ج٦، ص١٥٠؛ المواهب اللدنية: ج٢، ص١٦٥؛ الثغور الباسمة للسيوطي: ص٢٤، حديث ٣٠؛ مشارق الأنوار للقاضي عياض: ص١٢٨؛ تهذيب الخصائص للسيوطي: ص٤٣٣؛ صحيح ابن حبان: ج٥، ص٤٠٦؛ خصوصيات النبي للقسطلاني: ص١٣٥.

متعددة تشير إلى تلك الحرمة المترتبة على دلالة هذه الألفاظ فكان منها حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) المعروف بحديث الشجنة.

وقد أخرجه أحمد، والحاكم، والهيثمي، والطبراني، وغيرهم بألفاظ متفاوتة في السعة والاختصار.

١ – فقد رواه أحمد بهذا اللفظ:

(عن جعفر بن محمد، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن المسور بن مخرمة: أن حسن بن حسن بعث إلى المسور يخطب ابنة له فقال:

قل له يوافيني في وقت قد ذكره فلقيه فحمد الله المسور، وقال: ما من سبب ولا نسب ولا صهر أحب إليّ من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) قال:

«فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها وإنه يقطع يوم القيامة الأنساب إلا نسبي وسببي».

وتحتك ابنتها ولو زوجتك قبضها ذلك، فذهب عاذراً له)[1].

٢ – وأخرجه الحاكم النيسابوري بالسند المذكور، عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

«إنما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها».

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٣٣؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٢٠، ص٢٥، حديث ٣٠؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص٣٢٨؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج٢، ص٧٦٥، حديث ١٣٤٧.

وأردفه الحاكم بقوله: وهذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)[١].

٣- وأخرجه الحميري (رحمه الله) في قرب الإسناد (عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، عن أبيه الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«لما ولي عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة».

قال: **«فدخل عليه أخوه فقال له: إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضّل بني فاطمة ـ عليها السلام ـ عليهم»**.

فقال: أفظلهم، لأني سمعت، لا أبالي أن أسمع أولا أسمع، أن رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) كان يقول:

«إن فاطمة شجنة مني، يسرني ما أسرها ويسوؤني ما أساءها».

فأنا أتبع سرور رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)[٢].

وللوقوف على دلالة الحديث الشريف نورد ما جاء عند أهل اللغة في بيان معنى الشجنة:

١- قال ابن فارس في (شجن): الشين والجيم والنون أصل واحد يدل على اتصال الشيء والتفافه من ذلك الشجنة وهي الشجر الملتف.

ويقال: بيني وبينه شجنة رحم يريد اتصالها والتفافها، ويقال: للحاجة الشجن، وإنما سميت بذلك لالتباسها وتعلق القلب بها والجمع شجون.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج١١، ص٤٢، حديث ٤٧١٧؛ نثر الدرّ: ج١، ص٣٤٣؛ المناقب لابن شهر: ج٣، ص٣٣٢.

(٢) قرب الإسناد للحميري: ص٥٣.

قال: والنفس شتى شجونها.

والأشجان جمع شجن[١].

٢- وقال ابن الأثير:

(شجن) فيه ـ الحديث الشريف ـ:

«الرحم شجنة من الرحمن».

أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبه بذلك مجازاً واتساعاً؛ وأصل الشجنة بالكسر والضم: شعبة في غصن من غصون الشجرة[٢].

ومن هذا المعنى نستدل على أن فاطمة (عليها السلام) لها من الترابط مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما للعروق في الشجرة الواحدة وقد تشابكت والتفت مع بعضها البعض إلى الحد الذي أصبحت فيه هذه العروق شيئاً واحداً لا ينفك كل جزء فيه عن الآخر، وذلك للحمة التي بينهما فإذا قطع عضو منه مات من الشجرة عضو آخر.

ومما لا يخفى على أهل المعرفة ما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإحاطة التامة الجامعة المانعة بلغة الضاد وأسرارها وبلاغة معانيها وأبعاد ألفاظها ودلالة مفرداتها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٣، ص٢٤٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٢، ص٤٤٧؛ غريب الحديث لابن سلام: ج١، ص٢٠٩.

ولذلك:

نراه (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما مثل فاطمة بالشجنة منه، وبيان أهل اللغة بأنها الشعبة في غصن من غصون الشجرة، أو الشعبة من كل شيء[١]، لم يكن بأبي قد نطق بها إلا ليعرّف المسلمين بمحل فاطمة من النبوة والرسالة.

فقولهم وفعلها وتقريرها شعبة من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعله وتقريره؛ وهذا فضلاً عن ورود نصوص عن العترة النبوية بعصمتها وإنها حجة الله تعالى على الأئمة الذين جعلهم حججاً على خلقه وأوجب عليهم لزوم طاعتهم ومودتهم وإتباعهم.

ثالثاً - قصدية الحديث النبوي في أن فاطمة (عليها السلام): (مهجته (صلى الله عليه وآله وسلم)).

لم يزل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتقل من بيان إلى آخر ليرشد الناس إلى عظيم منزلة فاطمة عنده وشأنها لديه كي يحذر المسلمون في تعاملهم مع المقدسات ويجتنبون الوقوع في انتهاك الحرمات عند الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولذلك:

ينتقل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا إلى لفظ جديد ومعنى آخر يرسم صورة أخرى لهذه الشخصية الملكوتية التي أودعها الله تعالى في صلبه ليخرجها إلى الناس حجة وشاهداً وموضعاً للابتلاء الحسن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة.

---

(١) المجازات النبوية للشريف الرضي: ص١٣٨.

هـذه البينـة التـي جهـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) في بيانهـا ولم يـزل يظهرهـا ـ كـما سـيمر ـ علينا في بقيـة الأحاديـث الشريفـة.

وهنا:

أراد النبي الأكـرم (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) أن يعلـم النـاس محلها مـن شـخصه بذلـك المستوى الـذي لا يرقـى إليه أحد مـن الخلق فمن منهـم كان بمنزلة الـروح مـن النفس، والـدم مـن القلب، بل: هـي الـروح والقلب كما سيمر لاحقاً.

لكنـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) هنـا: حينـما وضعهـا هـذا الموضـع مـن القلـب ليعلـم النـاس أن لا حيـاة للقلـب بـدون الـروح ولا حيـاة للـروح بـدون الـدم وهـو مـا يذهـب إليـه أهـل اللغـة في بيـان معنـى (المهجـة).

إذ قـال الخليـل الفراهيـدي: (المهجـة: دم القلـب، ولا بقـاء للنفس بعدمـا تـراق مهجتها)[1].

وقـال الجوهـري: هـي، دم القلـب خاصـة، ويقـال: إذا خرجـت مهجتـه خرجـت روحـه)[2].

بمعنـى: لا بقـاء للنبـي الأكـرم (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بـدون مشـكاة النـور وأم الأئمـة حجـج الله على خلقـه والأدلاء عليـه والقـادة إلى سـبيله فلولاهـا لمـا كانـوا ولمـا كان هنـاك ذكـر للمصطفـى (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) ولا شريعتـه.

(١) كتاب العين: ج٣، ص٣٩٧.

(٢) كتاب الصحاح للجوهري: ج١، ص٣٤٢؛ البحر المحيط: ج١، ص٢٠٨.

إذ حياة كل شيء بقلبه ودوامه بروحه ودوام شريعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروح الإسلام بفاطمة (صلوات الله وسلامه عليها).

ولذا:

كان حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا اللفظ الكاشف عن منزلتها لدى النبوة والرسالة، فقال:

«**فاطمة مهجة قلبي، وإبناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، حبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى**»[(١)].

والحديث أخرجه محمد بن أحمد القمي (المتوفى سنة ٤١٢هـ) بإسناده عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن زياد، عن جميل بن صالح، عن الإمام جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال:

«**حدثني أبي، عن أبيه عن جده الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة مهجة قلبي.......**».

وساق الحديث، وذكره عنه الخوارزمي في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) والزمخشري في مناقبه وغيرهم.

---

(١) مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي: ص٧٦؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج٢، ص٣٢؛ الصوارم المهرقة للتستري: ص٣٣٧؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٩، ص٦٤٩؛ نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي: ص٢٢٧؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٧، ص٤٧٢؛ مقتل الحسين للخوارزمي: ص٧٧؛ المناقب للزمخشري: ص٢١٣ (مخطوط)؛ فرائد السمطين للحمويني: ج٢، ص٦٦، حديث ٣٩٠.

رابعاً - قصدية الحديث النبوي في أن فاطمة (عليها السلام): ((شعرة منه (صلى الله عليه وآله وسلم))).

لا شك إنّ من بين أهم الأولويات لدى الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) حفظ الحرمات، ومن أعظم الحرمات هي الحكم الشرعي ثم مثال الحكم الشرعي وعنوان وجوده في الحياة وهو المعصوم (عليه السلام) سواء كان نبياً أو رسولاً أو إماماً فهؤلاء هم الأمناء على الشريعة ومنهم يخرج الحكم الشرعي ـ باختيار وتعيين من الله تعالى ـ إلى الناس.

ولذلك فالراد عليهم راد على الله تعالى والمطيع لهم مطيع لله تعالى ولعل المتتبع للآيات الكريمة يجد الكثير منها ما ينص على الملازمة بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن العاصي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو عاص لله تعالى.

من هنا:

كانت الملازمة بين حرمة الحكم الشرعي وبين المشرّع وهو الله ورسوله ووصي رسوله فضلاً عن ذلك فقد تفاوت الأنبياء (عليهم السلام) فيما بينهم من حيث المنزلة بلحاظ الحكم الشرعي كذلك، بمعنى: كان أولوا العزم أعظم منزلة عند الله تعالى لأن رسالاتهم كانت إلى الناس كافة وكانوا أصحاب كتب سماوية.

أي: إنهم كانوا في مسؤولية أعظم ومهمة أكبر وذلك من خلال سعة الشريعة وسعة المساحة التي تنشر فيها هذه الأحكام.

وعليه:

كان الإسلام أتم الأديان وأكملها وخيرها التي أخرجت للناس، فضلاً عن السعة في الشريعة والمساحة التبليغية لتشمل الأسود والأبيض والسيد والعبد والجن والأنس؛ وهذا يتطلب مسؤولية عظيمة وذلك لما يلقى على عاتق خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم).

فكان هو: النبي، والرسول، والشاهد، والمبشر، والنذير، والداعي إلى الله، والسراج المنير، وهو قوله تعالى:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[١].

وفي موضع آخر يظهر الوحي ما لهذه الرسالة من حرمة ومنزلة وخصوصية خاصة ارتكزت على ما حمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحكام شرعية وما أوتي من كتاب فقال عزّ وجل:

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ﴾[٢].

ولم يصف الوحي أي كتاب من الكتب المنزلة بـ(العظيم) سوى القرآن وذلك لما أنزل الله فيه من العلم حتى أصبح حاضنة للعلوم، فكان هذا القرآن العظيم بحرمته ملازما للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

من هنا: يصبح كل أمرٍ مرتبط برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينظر إليه من حيث الصغر والكبر كنعله وثوبه وعصاه ودابته وما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

يلحق به من وسائل الحياة أو ما اختص ببدنه كظفره وشعره وبصاقه وعرقه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو أردنا أن نأتي بشواهد من السيرة والتأريخ على حرمة هذه الأشياء وآثارها التكوينية ـ بإذن الله تعالى ـ لخرجنا من الكتاب.

ولذا:

يستخدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مختلف الوسائل لإرشاد المسلمين إلى طاعة الله تعالى والاحتراز من الوقوع في المعصية، فكان من بين ما أرشد به الناس إلى تلك الحرمات وحفظها وصونها هو حديث الشعرة.

فقد روى الأربلي (عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إنّ فاطمة عليها السلام شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملئ السماء وملئ الأرض»)[١].

وروى جمع من المصنفين حديث الشعرة بلفظ آخر (عن عمرو بن خالد، قال حدثني زيد بن علي بن الحسين وهو أخذ بشعره، قال: حدثني أبي علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو آخذ بشعره، قال حدثني الحسين بن علي (عليهم السلام)، وهو آخذ بشعره، قال: حدثني علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو آخذ بشعره، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذ بشعره، قال:

(١) كشف الغمة للأربلي: ج٢، ص٩٥.

«من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملئ السماء وملئ الأرض»[1].

والحديث يرشد السامع إلى تلك الدلالة التعظيمية لحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جزء لا يتجزأ من تلك الحرمة، حالهم في ذلك حال القرآن فمن أنكر حرفاً منه أنكر القرآن ومن انتهك حرمة آية منه انتهك حرمة القرآن جميعاً.

بل إن التعرض لهم بذلك المقدار الذي حدده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشعرة يوجب ذلك العقاب واللعن ملئ السماء وملئ الأرض، فكيف بمن قام وعزم وساعد وأسس لقتلهم وتشريدهم وسلب أموالهم وغيرها من الانتهاكات التي تعرض لها آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فضلاً عن قتل شيعتهم ومن يتولاهم منذ أن قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى اليوم الذي يأذن الله فيه بالظهور لمهدي آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقتص من الظالمين ومن رضا بفعلهم.

خامساً – قصدية الحديث النبوي في أن فاطمة (عليها السلام): (أحب أهله إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)).

إنّ من المفاهيم التي مرّ ذكرها وبيانها ضمن هذا المبحث هو مفهوم الحب بمدلولاته القرآنية المتلازمة مع الإيمان والإتباع والمولاة والطاعة.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٠٩؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق: ج٢، ص٢٢٧؛ دلائل الإمامة للطبري: ١٣٥؛ نظم درر السمطين للزرندي: ص١٠٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٥٤، ص٣٠٨؛ مناقب الإمام علي عليه السلام لابن مردويه: ص٨٠.

من هنا: حينما نأتي إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناطق عن حبه لفاطمة وبعلها وبنيها(عليهم السلام) فهو لا يتعدى عن ذلك المفهوم الذي أدل عليه الوحي ضمن سلسلة من الآيات الكريمة.

بمعنى: أن حب النبي وبغضه، ورضاه وغضبه مرتكز على حب الله ورضاه وغضبه، فإذا أحب كان حبه لله وإذا رضا كان كذلك، أو إذا غضب كان غضبه لله تعالى.

فضلاً عن كاشفيته لرضا الله وغضبه وحبه وبغضه بمعنى: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يحب شيئاً إلا إذا كان الله تعالى يحبه ولا يبغض شيئاً إلا إذا كان الله قد بغض هذا الشيء وكذا في رضا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغضبه فهو كاشف عن رضا الله وغضبه.

وعليه: تصبح الأحاديث الشريفة الكاشفة عن حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي كاشفة في الحقيقة عن حب الله تعالى لهذا الشيء.

بل: إن حبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبغضه هو عينه حب الله وبغضه، وذلك أن النبي الأعظم مثال الحكم الإلهي على الخلق.

ولذا: يكون حبه لفاطمة وبعلها وولديها (صلوات الله عليهم أجمعين) ملازم لحب الله تعالى لهم، بل هو عين حب الله تعالى لهؤلاء؛ ومن ثمّ لا يتصور أن يكون حب الله تعالى لهم إلا لأنهم مثال أحكامه وعنوان شريعته وحجته على خلقه؛ إذ ليس هناك قرابة بين الله تعالى وبين أحد من خلقه فتعالى الله ربنا المالك لما خلق وهو العزيز الحكيم.

إذن: حينما يروي الرواة عنه، كما في سنن الترمذي، ومستدرك الحاكم، وغيرها، عن عائشة وقد دخل عليها جميع بن عمير التميمي فيسألها قائلاً: (أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟) قالت: فاطمة، فقيل من الرجال؟

قالت: زوجها)[١].

أو ما رواه أسامة بن زيد، فقال: (كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي فقالا لي يا أسامة استأذن لنا على رسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم).

فدخلت على النبي (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) فاستأذنته فقلت: له إن العباس وعلي يستأذنان، قال:

«هل تدري ما حاجتهما؟».

قلت: لا والله ما أدري، قال:

«لكني أدري، أئذن لهما».

فدخلا عليه، فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال:

«أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد»)[٢].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: فضل فاطمة: حديث ٣٨٧٤.

(٢) مستدرك الحاكم: ج٢، ص٤١٧؛ الأحاديث المختارة للمقدسي: ج٤، ص١٦١؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٢٢، ص٤٠٣؛ الجامع الصغير: ج١، ص٣٧؛ فيض القدير للمناوي: ج١، ص٢١٧؛ تفسير ابن كثير: ج٣، ص٤٩٩؛ الدر المنثور: ج٥، ص٢٠١؛ تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٨، ص٥٤.

وغيرها من الألفاظ[1] الكاشفة عن حجم حبه (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة (صلوات الله عليها) مما يدل على منزلتها لديه ضمن تلك المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم.

سادساً - قصدية الحديث النبوي في أن فاطمة (عليها السلام) هي: (قلبه وروحه التي بين جنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)).

روى الأربلي نقلاً عن كتاب لأبي إسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال:

«من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي الذي بين جنبي؛ فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[2].

يمتاز هذا الحديث الشريف عن سابقه في بيان منزلة فاطمة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكونه يقدم فاطمة (عليها السلام) ضمن صيغة تعريفية للناس من خلال تحديد هذه المعرفة بهذه الألفاظ.

---

(١) أنظر في ذلك: السنن الكبرى للنسائي: ج٥، ص١٤٠، برقم ٨٤٩٨؛ مسند البزار: ج٧، ص٧١؛ الاستيعاب: ج٤، ص١٨٩٧، ط دار الجيل؛ الآحاد والمثاني: ج٥، ص٣٦٠، برقم ٢٩٥١؛ مجمع الزوائد: ج٩، ص٣٠٢.

(٢) كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٦٦٥؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص٦٦٤؛ البحار: ج٣٣، ص٥٤؛ المحتضر للحسن بن سليمان الحلي: ص٢٣٤؛ نور الأبصار للشبلنجي: ص٥٢؛ عوالم العلوم للسيد البحراني: ج١١، ص١٤٨، حديث ٢٠؛ إحقاق الحق: ج١٠، ص٢١٢.

بمعنى: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يعرّفها ضمن تعريفه هو، فيقدمها ضمن مقامات ثلاثة يبتدأها بكلمة (هي) يسبق بها هذا المقام أو ذاك، كي تكون كل كلمة (هي) منفصلة عن غيرها لكونها تقدم تعريفاً مستقلاً عن فاطمة عليها السلام؛ فكانت على النحو الآتي:

ألف - من عرف هذه، فقد عرفها، ومن لم يعرفها، فهي فاطمة بنت محمد.

هنا وإن كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستثني من بيانه وتعريفه لفاطمة من كان عارفاً لها إلا أنه يرجع فيقدم فاطمة (عليها السلام) ضمن تعريف محدد بتلك المقامات الثلاثة، ولذا قال:

«**ومن لم يعرفها فأنا أعرفه بها**».

ومن البديهي أن الجميع يعرفون أنها ابنته (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذاك يتساوى الجميع في هذا المقام التعريفي سواء من كان منهم مؤمنا أو منافقاً إذ أن الصورة التي ينقلها الحديث وعلى لسان الراوي: ممثلاً بخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) إنما كان لهذا القصد، أي: تقديم معرفة جديدة للناس غير تلك المعرفة التي يعرفون بها فاطمة، وقد تسالموا على أنها ابنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعليه:

يتضح من قوله: (فهي فاطمة بنت محمد) نفي شبهة التبني أو الربيبة عن فاطمة حصراً؛ بمعنى: إذا كانت هناك شبهة في كون (رقية، وأم كلثوم،

وزينب) هن ربائب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة (عليها السلام)[1].

أو تسالم هذه الحقيقة في أذهان الناس في كون الربيبة بنتاً؛ فإن النبي أراد بهذا الخروج مع أخذه بيد فاطمة وتقديمها إلى الناس بهذا الشكل الذي يبتدأ فيه قوله: (من عرف هذه)، أي: يعرفها بأنها البنت الواحدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (فقد عرفها)؛ (ومن لم يعرفها) بأنها ابنتي وأنا أبوها ومن صلبي وليست بالربية، فأنا أعرفه بها: (هي فاطمة بنت محمد) (صلى الله عليه وآله وسلم).

إذن:

من كان يظن أنها ربيبة فهو خاطئ، إنما هي فاطمة بنت محمد، وإلاّ لا معنى لقوله هذا صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفوا أنها بنت النبي ما لم يكن هناك من يعتقد بأنها ليست ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دفع هذه الشبهة وهذه الظنون وإعلامهم جميعاً بأنها بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

باء - (هي بضعة مني).

قد مرّ علينا سابقاً بيان دلالة لفظ (البضعة) إلا إننا هنا نضيف بأن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يندرج في بيان منزلة فاطمة (عليها

---

(١) للمزيد من المعرفة، أنظر كتابنا: خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة، الجزء الأول والذي نستدل فيه كونهن ربائب.

السلام) وتعريفها لدى الناس فبعد أن قدمها بكونها (ابنة محمد) (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي ليست بالربيبة ينتقل إلى بيان أعظم وتعريف أدق يكشف عن خصوصيتها منه؛ وحينما نقول منه أي: من النبوة والرسالة وحرمة هذه المقامات في الشريعة.

ولذلك: لم يكتف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكونها ابنته، بل لها تلك المنزلة من كونه رسول الله ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ختم الله به النبوة والرسالة.

وإن لها من الحرمة ما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن خصوصية الحكم الشرعي المتمثل بالطاعة والإتباع والعصمة.

جيم- (هي قلبي).

يرتفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تعريف فاطمة (عليها السلام) ضمن هذا السلم المعرفي فينتقل إلى منزلة هي أعظم من سابقتيها، (البنوة، والبضعة) لتكون فاطمة منه منزلة القلب.

وحينما تكون فاطمة عليها السلام في تلك المنزلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهنا لابد من بيان بعض النقاط حسبما يكشفه منطوق الآيات والأحاديث حول قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إذ من البديهي أن خزانة أسرار الوحي هو قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك لقوله تعالى:

١ - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

٢ - ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[2].

والآيتان واضحتان في الدلالة على ما يحتويه قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خزانة للوحي والذكر الحكيم، ولما كانت فاطمة بهذا الوصف وبهذه المنزلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا يعني أنها ـ ومن لحاظ تكوينها النوراني ـ خزانة للوحي والذكر الحكيم.

ولذا فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما جاء بها إلى الناس ليعرفها لهم لم يكن ليتخطى تعريف القرآن في بيانه قلبُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الناس كما في الآيتين ـ ولو كان المراد القلب المادي لما احتاج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إخراجها إلى الناس ومخاطبتهم ليكشف لهم الشأنية والمنزلة التي لها عند الله تعالى ولاكتفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لها من المعرفة النَّسبية والاجتماعية حالها في ذاك حال رقية وأم كلثوم وزينب، فقد اكتفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بما رسخ في أذهان الناس من معرفة لهن، ولم يحتج إلى كل هذا البيان والتأكيد والتحذير والتعريف الذي انتهجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع فاطمة (عليها السلام) لولا تلك المنزلة والشأنية التي جعلها الله تعالى فيها فاراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٤.

حفظ حرمتها ومعرفة قدرها كي لا يقع أحد من المسلمين في تعديه لهذه الحدود الإلهية.

دال - (وهي روحي).

هذه المنزلة التي أظهرها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ضمن الحديث الذي أوردناه في مقدمة المبحث والتي جاءت بالعطف على (القلب) فقد أخرجها الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده (عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس، قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن (عليه السلام) فلما راه بكى، ثم قال:

«**إليّ يا بني**».

فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين (عليه السلام)، فلما رآه بكى، ثم قال:

«**إليّ يا بني**».

فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى، ثم قال:

«**إليّ يا بنيّة**».

فأجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما رآه بكى، ثم قال:

«**إليّ يا أخي**».

فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت، أو ما فيهم من تسر برؤيته!

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، إنّي وإياهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم.

أما علي بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي، وبعد مماتي، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة، وإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي حتى إنه ليزال عن مقعدي، وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي...»)[1].

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٧٥؛ الاعتقادات في دين الإمامية: ص١٠٦؛ الفضائل لابن شاذان: ص٨٣.

لا شك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يريد أن يمتدح ابنته ويرطب مسامعها بكلمات اللطف والحنان والحب فيصفها بأنها قلبه وروحه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو أراد هذا المعنى وقصد هذه الدلالة لكان ذلك ضمن نطاق الأسرة وداخل البيت حاله في ذاك حال بقية الآباء حينما يتناغمون في كلماتهم الرقيقة مع بناتهم وأبنائهم دون الحاجة إلى أسماع الناس؛ بل لعل أسماع الأبناء هذه الكلمات خارج المنزل لا يحقق ما يريده الأب من إظهار الحب لهذا الابن أو البنت.

ولذلك: كان المراد من هذه الكلمات هو الناس وليس فاطمة وهو خلاف ما عليه النظام الأسري والأبوي في مختلف المجتمعات إذ حينما يقدم الأب على المدح والثناء وإظهار حبه لأبنائه وبناته فهو يقبل على الشخص المعني فيسمعه هذه الكلمات لكي يعزز أواصر المحبة والبر ويدفعه إلى التقوى في بر الوالدين.

لكن الحالة هنا مختلفة جذرياً إذ أن المخاطب في هذه الألفاظ الناس وليس فاطمة، أي: أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعرف الناس بمنزلة فاطمة لديه وشأنها عنده وحينما كان يريد فهو لا يقصد المعنى المادي المختزن في لفظ (القلب والروح) فهذه المعرفة تكون سطحية، بل لا يتحقق الهدف من هذا الخطاب والبيان وحيث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حكيماً ومأموراً في كشف الضلال عن الأمة وبيان الحدود الشرعية، كان القصد من هذه الكلمات هو المعنى الشرعي والروحي، والمناقبي، بمعنى: أنها قلب النبوة وروحها؛ وأن التعرض لها هو تعرض لقلب النبوة وروح الرسالة.

وحيث أن روح كل شيء يكون به حياته وقوامه وديمومته كذلك كانت فاطمة فهي روح النبوة ومن خلالها كان دوام الشريعة وذلك من خلال كونها أم الأئمة وأم الأوصياء لرسول رب العالمين أولهم الإمام الحسن وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وعليه:

أردف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الكلمات وهذا البيان والتعريف بالغاية المنشودة منه وهي حفظ حرمتها وعدم التعدي لهذا الخط الأحمر الذي يترتب عليه هلاك أقوام ونجاة أخرى.

ولذا: يختم قوله وبيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول:

«**فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**».

وعليه:

فمن آذى الله، عليه لعنة الله وأنبياءه ورسله وملائكته والناس أجمعين عدد ما خلق الله ومبلغ علمه.

المسألة الثالثة: مقاصدية الفعل النبوي في اختصاص فاطمة (عليها السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

لم يكتف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بإظهار منزلة فاطمة (عليها السلام) لديه عبرَّ الألفاظ، وهو ما تناولناه آنفاً؛ وإنما بادر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إظهار منزلة فاطمة وأختصاصها به عبرَّ الفعل

أيضاً كي يرشد الناس إلى بيان شأنية هذه الشخصية وحرمتها في الشريعة؛ والمستفاد من هذا المنهج النبوي جملة من الأمور، منها:

١- إن الألفاظ تحتاج إلى قرائن تفهم السامع بما ينطوي عليه مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد يتعذر المتعذرون بذلك، أي: افتقادهم إلى القرائن في الوصول إلى المعاني أو المعنى المراد من لفظ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

في حين قد لا يحتاج الفعل النبوي إلى تلك القرائن المرادفة للألفاظ في الوصول إلى المعنى المراد في اللفظ.

٢- إن الفعل النبوي هو بحد ذاته قرينة خارجية ترشد السامع إلى المعنى والمقصد الذي أراده المعصوم في قوله، ومن ثم يريد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قطع الطريق على المعتذر في فهم الألفاظ النبوية عند غياب القرينة الخارجية.

٣- إنّ الفعل النبوي لا يحتاج إلى بيان يؤكد المعنى الذي يقصده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالفعل لغة يفهمها الكبير والصغير فيهرع إلى تقليدها، وإذا رآها تتكرر أمامه فسوف تنطبع في ذهنه وتنمو معه ليشب عليها وعندها يصبح من الصعب بمكان التحرر من هذا التقليد.

٤- إن الفعل وسيلة تعليمة للناس سواء كانوا يدركون هذا الفعل أو لا وذلك إن القصد منه هو إتباع الناس لهذا الفعل النبوي ومن ثمّ نشره بين الناس.

٥- حينما يتلازم القول النبوي والفعل النبوي في الموضوع الواحد فذلك يؤدي إلى ترسيخ هذا الموضوع في أذهان الناس واستئناسهم به وحرصهم على تأديته لما يحمل من أهمية عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٦- إن الفعل النبوي أسرع انتشاراً بين الناس من القول لاشتراك حاسة البصر مع السمع في إدراك الحكم الشرعي إذ يقرن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القول والعمل.

٧- إن قيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الفعل أو ذاك يحرك في أذهان الصحابة الاستفهام مما يدفعهم إلى الاستفسار وفهم المقصد من هذا العمل.

وعليه: هناك جملة من الفوائد تقترن بهذا المنهاج النبوي في التفاعل مع ما يصدر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لينعكس على بناء المجتمع وتثبيت قواعد نهضته وعوامل إصلاحه، وهو ما نحاول أن نوصله إلى القارئ الكريم.

أولاً - مقاصدية قيام النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) وتقبيلها وإجلاسها في مجلسه.

فيما روي عن عائشة، أنها قالت:

١- (ما رأيت أحداً من الناس أشبه كلاماً برسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم)، ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) إذا رآها قد أقبلت رحب بها، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه؛ وكانت إذا رأت النبي

(صلى الله عليه -وآله- وسلم) رحبت به فقامت إليه فقبلته....)[1].

٢- وفي لفظ آخر أخرجه الحاكم، والبيهقي، والنسائي، وغيرهم، عن عائشة، أنها قالت:

(ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثا من فاطمة برسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه)[2].

واللفظان الواردان يكشفان عن جملة من الأمور، وهي على النحو الآتي:

---

(١) صحيح ابن حبان: ج١٥، ص٤٠٣، برقم ٦٩٥٢؛ الجامع الصغير للسيوطي: ص١٨٨؛ شعب الايمان للبيهقي: ج٦، ص٤٦٧، برقم ٨٩٢٧؛ الأدب المفرد: ص٣٢٦؛ مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٦٧؛ برقم ٤٧٣٢؛ وفي ج٣، ص١٧٤، برقم ٤٧٥٣؛ موارد الظمآن: ج١، ص٥٤٩؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج٧، ص١٠١، برقم ١٣٣٥٦؛ تحفة الأحوذي: ج١٠، ص٢٥٣؛ الاستيعاب: ج٤، ص١٨٩٦؛ الدراية لابن حجر: ج٢، ص٢٣٢؛ سنن أبي داوود: ج٤، ص٨٧؛ برقم ٤٢١٣؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٥، ص٣٩٢، برقم ٩٢٣٧؛ تلخيص الحبير لابن حجر: ج٤، ص٩٣؛ نصب الراية للزيلعي: ج٤، ص٢٥٨؛ فضائل الصحابة: ج٤، ص٢٤٢، برقم ٤٠٨٩؛ المصنفّ لابن أبي شيبة: ج٤، ص٤٧؛ مسند إسحاق بن راهوية: ج١، ص٨؛ المعجم الأوسط للنسائي: ص٧٨؛ مسند الروياني: ص٤٢٨، برقم ٦٥٥؛ مسند الشاميين: ج١، ص٢٩٩، برقم ٥٢٣؛ مسند الموصلي: ج٤، ص٣٥٢، برقم ٤٢٦٦؛ الأحاد والمثاني: ج٥، ص٣٥٩، برقم ٢٩٤٨؛ المعجم الكبير: ج٢٢، ص٢٢٥، برقم ٥٩٥.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٥٤؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج٧، ص١٠١؛ تحفة الأحوذي: ج٨، ص٢٦؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٥، ص٣٩٢؛ كشف الغمة للأربلي: ج٢، ص٨٠؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص٥٥؛ السيدة فاطمة لمحمد بيومي: ص١٥٦.

١- لا شك إن هذا الفعل النبوي كاشف عن تعظيم فاطمة (صلوات الله عليها) أمام الحاضرين لاسيما نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو واضح عبر منطوق الحديث وراويه، أي عائشة.

٢- إن من البديهي أن يكون علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما سيجري على فاطمة من بعده يجعله يقوم باتخاذ السبل لمنع وقوع الفتنة وهلاك المقترف للذنب في حق بضعته فاطمة، وذلك بما لها من الملازمة بحرمة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فالمتعرض لها متعرض لله ورسوله كما مرّ بيانه.

ومن ثم أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قطع الطريق على من تسول له نفسه بالتعدي على حرمته من بعد وفاته فيسيء إلى قلبه وروحه وبضعته، كأن يقول لم أسمع من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يدل على هذا التعظيم والحرمة لاسيما ما كانت تقوم به عائشة أثناء حياة رسول الله من الكيد بها والنيل من أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) وهو أمر تواتر عنها في صحاح المسلمين.

٣- إن هذا التعظيم كان له أكثر من صورة وكل صورة، كانت تنطق عن منزلة خاصة وخصوصية منفردة كترحيبه بها حينما تدخل عليه، وقيامه لها، وأخذه بيدها، وتقبيل يدها، أو تقبيلها كما في الرواية الأولى وإجلاسها في مجلسه) كل هذه الصور لها دلالات محددة ومفاهيم خاصة.

ثانياً - مقاصدية فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد السفر جعل فاطمة (عليها السلام) آخر من يودع وأول من يقصد بعد رجوعه.

روى الطبرسي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال:

«**كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد السفر سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون توجهه إلى سفر من بيتها وإذا رجع بدأ بها**»(١).

إن التعامل مع بيت فاطمة في منهج الوحي (عليه السلام) كان منذ أن شاء الله تعالى أن يتكون هذا البيت في زواجها من علي (عليه السلام) حينما زوّج الله سبحانه النور من النور فجمع في بيت أعده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسبقاً حينما بدء ببناء المسجد النبوي حينما قدم المدينة.

فمنذ هذه اللحظات الأولى لتكوّن هذا البيت بقطبيه ونوريه كان الوحي له منهاجاً خاصاً في التعامل معه، فبين وقوف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند باب فاطمة مردداً.

«**أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم**» إلى مجيئه كل صباح عند صلاة الصبح فيأخذ بعضادتي الباب فيقول:

«**الصلاة، الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فيطهركم تطهيراً**».

إلى صلاته وتهجده في الليل خلف بيت فاطمة (عليها السلام) إلى غير

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي: ص٩٤؛ ج١٩، ص٣٤٩.

ذلك من الافعال. وعليه: فهذا المنهج هو الذي جعله (صلى الله عليه وآله وسلم) آخر ما يودع هو فاطمة، وأول ما يبتدأ به من السفر هو بيت فاطمة.

كل ذلك وعبر هذا الفعل النبوي المتنوع في هذه الأشهر والسنوات التي قضاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة ومنذ أن بني هذا البيت في الإسلام والى يوم وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم).

كلها تدل على قضية محدده، وهي:

إنَّ هذا البيت له من الحرمة ما يجعله موضعاً لكل هذا الإهتمام النبوي، وانه في محل من التعظيم والتقديس ما يجعل المرء يعد حتى الألف قبل أن يخطو خطوة واحدة قد تكون خالية من اللياقة والتأدب فيقع في محذور عظيم وخطر جسيم.

فضلاً عن ان الداخل إليه لابد له من مقدمات ومؤهلات تسمح له من التشرف لتقبيل اعتابه واحراز الاذن في الجلوس في فنائه.

وكيف لا وجبرائيل واسرافيل والملائكة المقربون، زواره يقبلون أعتابه، ويتشرفون بخدمة أهله والجلوس معهم، والتزود من نورهم وفيضهم.

(فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ثالثاً - مقاصدية فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم الدخول على فاطمة (عليها السلام) حتى يستأذن.

روى الشيخ الكليني (رحمه الله) عن أبي جعفر ـ الباقر ـ (عليه السلام) (عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد فاطمة (عليها السلام) وأنا معه فلما انتهيت إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ثم قال:

«**السلام عليكم**».

فقالت فاطمة:

«**عليك السلام يا رسول الله**».

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«**أدخل؟**».

قالت ـ عليها السلام ـ:

«**ادخل يا رسول الله**».

قال:

«**أدخل أنا ومن معي؟**».

فقالت:

«**يا رسول الله ليس عليّ قناع**».

فقال:

«**يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنعي به رأسك**».

ففعلت ثم قال:

«**السلام عليكم**».

فقالت فاطمة:

«**وعليك السلام يا رسول الله**».

قال:

«**أدخل؟**».

قالت:

«**نعم يا رسول الله**».

قال:

«**أنا ومن معي؟**».

قالت:

«**ومن معك؟**».

قال جابر: فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخلت، وإذا وجه فاطمة (عليها السلام) أصفر كأنه بطن جرادة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**مالي أرى وجهك أصفر**».

قالت:

«**يا رسول الله الجوع**».

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**اللهم مشبع الجوعة ودافع الضيعة أشبع فاطمة بنت محمد**».

قال جابر: فوالله لنظرت إلى الدم ينحدر من قصاصها حتى عاد وجهها أحمر فما جاعت بعد ذلك اليوم)[١].

وقد أخرج عمر بن شاهين، وابن عبد البر، وابن عساكر الدمشقي، والذهبي وغيرهم (عن عمران بن حصين قال: خرجت يوماً فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) قائم فقال لي:

«**يا عمران فاطمة مريضة فهل لك أن تعودها؟**».

قال قلت: فداك أبي وأمي وأي شرف أشرف من هذا، فانطلق رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) فانطلقت معه حتى أتى الباب فقال:

«**السلام عليكم، أأدخل؟**».

قالت:

«**وعليكم، أدخل**».

فقال رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم):

«**أنا ومن معي؟**».

قالت:

«**والذي بعثك بالحق ما عليّ إلا هذه العباءة**».

(١) الكافي للكليني: ج٥، ص٥٢٨. وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٣٠، ص٢١٥ ـ ٢١٦.

قال ومع رسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) ملاءة خلقة فرمى بها إليها، فقال:

«**شدي بها على رأسك**».

ففعلت ثم قالت:

«**ادخل**».

فدخل ودخلت معه فقعد عند رأسها وقعدت قريبا منه فقال:

«**أي بنية كيف تجدك**».

قالت:

«**والله يا رسول الله إني لوجعة وإني ليزيدني وجعا إلى وجعى أن ليس عندي ما آكل**».

قال فبكى رسول الله (صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم) وبكت وبكيت معهما، فقال لها:

«**أي بنية اصبري مرتين أو ثلاثة**».

ثم قال لها:

«**يا بنية أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين**».

قالت:

«**يا ليتها ماتت فأين مريم بنت عمران**».

قال لها:

«أي بنية تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك والذي بعثني بالحق لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة لا يبغضه إلا كل منافق»[١].

يظهر الحديثان جملة من الأمور العقدية والتربوية والأسرية وذلك بحسب ما احتوته ألفاظ كل منهما مشتركة أو انها اختلفت في إظهار جانب معين من تلك الأمور؛ وهي على النحو الآتي:

ألف. يظهر الحديثان حقيقة عقدية مرتبطة بمنزلة فاطمة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك عبر الفعل النبوي المبارك، إلا وهو «الاستئذان من فاطمة قبل الدخول إلى دارها».

على الرغم من أن الاستئذان مرفوع فيما بين الوالد وابنته عند الدخول إليها في دارها.

ولعل قائلاً يقول: إن السبب في استئذان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة (عليها السلام) لكونه كان يصطحب معه شخصاً اجنبياً كما نصت الرواية الأولى والثانية، فالرواية الأولى أوردت اصطحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لجابر بن عبد الله، وفي الثانية كان عمران بن

(١) فضائل فاطمة لابن شاهين: ج١، ص١٥، ح١٢. الاستيعاب لابن عبد البر: ج٤، ص١٨٩٥؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٤٢، ص١٣٤. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص١٢٦. الجوهرة في النسب للبري: ص١٧. ذخائر العقبى للطبري: ج٤٣. نظم درر السمطين للزرندي: ص١٨٨. المناقب للخوارزمي: ص٣٤٠. مشكل الاثار للطحاوي: ج١، ص١٤١. حلية الأولياء: ج٢، ص٤٢. اتحاف السائل للمناوي: ص٧٦ ـ ٧٧. ح٤٢. الدر النظيم لابن أبي حاتم: ص٤٦٠.

حصين، وكلاهما لا يحق لهما الدخول دون استئذان.

وأقول: لا شك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وبلحاظ أنه صاحب الشريعة ـ لا يخفى عليه وجود شخصين أجنبيين على ابنته، ومن ثم لا يجوز لهما الدخول إلى دار فاطمة (عليها السلام) دون استئذان.

ولكن: الحكمة النبوية تكمن في اصطحابه لهما؛ وذلك ليحدثان الناس بما سيشاهدان ويسمعان منه ومن ابنته (صلوات الله عليهما) مما يحقق الهدف التبليغي والإرشادي والتربوي الذي قصده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من هذه الزيارة.

وعليه: فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من شأنه أنه لا يدخل إلى بيت فاطمة عليها السلام حتى يستأذن، ولعل أخذه (صلى الله عليه وآله وسلم) الإذن مجدداً ولمن معه فقال لها: «**أنا ومن معي**»؛ ليرّسخ في ذهن من اصطحبه إلى بيت فاطمة (عليها السلام) بأنه لا يدخل عليها حتى يستأذن.

باء. لا شك أن دلالة الاستئذان تكشف عن شأنية صاحب الدار، فهذا الفعل دلالته الاجتماعية والعرفية والعقلائية ثابتة لدى الناس.

إلا أن الجديد في هذا الاستئذان هو شخص المستأذن، بمعنى: إنّ هذا الفعل في العادة يدل في وقوعه على شأنية صاحب الدار فكلما عظمت شأنيته لزم إظهار الإذن وتفخيمه؛ لكن هنا الحال يختلف فالقادم هو أعظم شأناً ومنزلة، ومن ثم يلزم خروج صاحب الدار لاستقباله بحفاوة وتكريم، فضلاً عن سقوط الإذن، أي ان عظيم شأنية القادم تستلزم أن لا يستأذن على

أحد كما هو الحال في زيارة الملوك والسلاطين لدى الرعية، فالرعية والناس هم الذين يظهرون الحفاوة والتكريم للسلطان أو الحاكم عند قدومه للزيارة، فضلاً عن أن هذه الزيارة تفضي على صاحب الدار الوجاهة والكرامة.

فكيف إذا كان الزائر والقادم هو سيد الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يحيط به من صفوف الملائكة والأنوار الربانية، وكيف سيكون أثر هذه الزيارة والتشريف؟! على صاحب الدار؟

ولذلك كل هذه الدلالات ترشد الناظر إلى عظيم منزلتها (صلوات الله عليها).

جيم. إن قول عمران بن حصين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما عرض عليه عيادت فاطمة (صلوات الله عليها): «فداك أبي وأمي، وأي شرف أشرف من هذا؟».

يكشف عن تحقيق الغاية في الاصطحاب، أي: إظهار شرف صاحب الدار، ومصاحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الزيارة، وهو ما أراده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن إيصال معرفتها إلى الصحابة وبما لديها من المنزلة عند الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولذلك: كيف سيكون حال الداخل لهذه الدار عنوة ومروعاً لفاطمة ووليدها (عليهما السلام) وما له من العقاب عند الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أتراه كان يدرك ما فعل، أم انه جاهل بمقامها وحرمتها؟

ولعل قول الناس له حينما جمع الحطب على الباب لحرقه؛ **(إن في الدار فاطمة)**، قد قطع العذر في الجهل؛ ولعل قوله: «**وإن**» قد قطع العذر في عدم الإدراك مما فعل، بل كان عارفاً أين سيسدد ضربته، ولمن وجه رميته، وهو على الإصرار والسبق والترصد.

وعليه: كان الهدف في اصطحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لشخصين في عايدت فاطمة (صلوات الله عليها) هو تثقيف المسلمين على هذه العقيدة وبيان الحرمة الشرعية لهذه الدار وأهلها، ولذا قالوا: **(إن في الدار فاطمة)**[١].

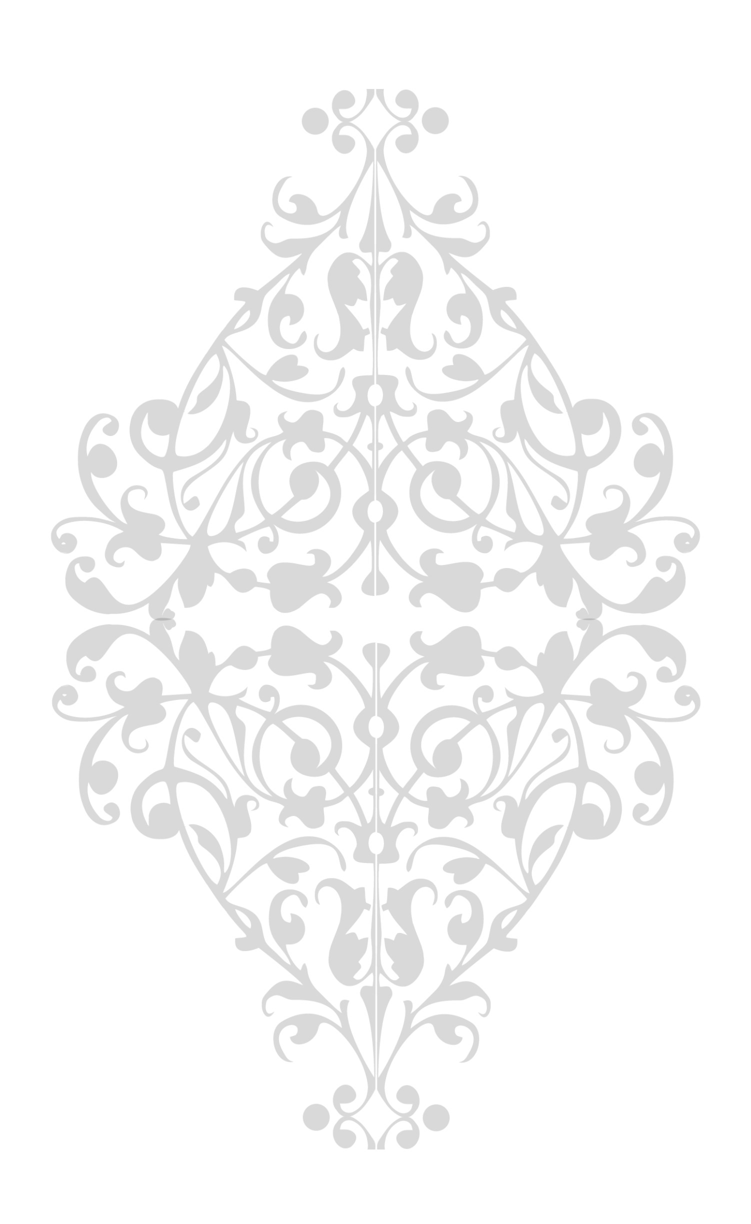
أذن: هذا الفعل النبوي وما سبقه من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) يظهر بجلاء مقاصدية القرآن والسنّة في ملازمة حرمة فاطمة (عليها السلام) لحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشأنها لشأنه، وقدسيتها لقدسيته، وحبها لحبه، وبغضها لبغضه، ورضاها لرضاه، وأذاها لأذاه.

ومن آذاه (صلى الله عليه واله) فقد حكمت الشريعة بلعنه في محكم التنزيل.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾**[٢].

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١، ص١٧٨. تاريخ أبي الفداء: مج١، ص١٥٦؛ انساب الأشراف للبلاذري: مج١، ص٦٨٥؛ تاريخ الخميس للديار بكري: ج١، ص١٧٨؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص١٠٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.



المبحث الثاني

مظاهر علاقة أبي بكر ببيت النبوة في مقاصدية القرآن والسُنّه

مثلما جرت قصدية السؤال في المبحث الأول تجري هنا إذ أن التعريف بشخص أبي بكر لا يراد به - قطعا - أنه الخليفة، وانما ما شهده تاريخ هذه الشخصية قبل وقوع الخصومة لبيت النبوة فألدَّ في خصام بضعة النبي (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها).

فقد يكون التخاصم معهوداً منه لبيت النبوة، ومشهوداً لدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد يكون وليد مقتضيات العهد الجديد الذي مكنّهُ من الجلوس في مجلس الحكم وتأسيس الحكومة الجديدة وتثبيتها؟

إنها تساؤلات كثيرة نبحث عن اجاباتها في مصادر التراث الإسلامي، لعلنا نجد فهماً لما سنّهُ أبو بكر من المخاصمة لبضعة النبوة (عليها السلام) منذ الأيام الأولى لتوليه الحكومة والى يومنا هذا الذي أنبرى فيه ابن عثيمين وأسلافه وأتباعه وهلم جراً؛ إذ لم يزل الخلف أوفياء لما سَنّه السلف في مخاصمة فاطمة (عليها السلام).

المسألة الأولى: مظاهر العلاقة مع بيت النبوة قبل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ الرجوع الى المصادر التاريخية، وقراءة مجريات البعثة النبوية، ومحطات التبليغ الذي سار به النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يرشد الى جملة من المواقف التي بدا فيها التخاصم جلياً في العلاقة بين أبي بكر وبيت النبوة حتى توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما سيمر عبر نقاط هذه المسألة.

وعليه:

لم تكن مخاصمة أبي بكر لفاطمة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) وليدة مقتضيات السلطة والحكومة التي تسنمها أبو بكر، وإنما منذ الهجرة النبوية وقبل الدخول الى المدينة التي تنورت بأقدام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمنذ ذلك الوقت كان التخاصم والمخاصمة للبيت النبوي. وهي كالاتي:

أولاً – أول مظهر للخصومة مع بيت النبوة كان في قباء قبل دخول المدينة.

وهذه الحقيقة المغيبة من كتب السيرة أظهرها الشيخ الكليني (عليه الرحمة والرضوان) (ت ٣٢٩هـ) في روايته عن سعيد بن المسيب وهو يتوجه الى الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في جملة من الأسئلة، فكان منها، أنه قال:

(جُعِلْتُ فِدَاكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) حِينَ أَقْبَلَ إِلَى الْمدِينَةِ فَأَيْنَ فَارَقَه؟ فقال:

«إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وآله) إِلَى قُبَا فَنَزَلَ بِهِمْ يَنْتَظِرُ قُدُومَ عَلِيٍّ (عليه السلام)، فَقَالَ لَه أَبُو بَكْرٍ:

انْهَضْ بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرِحُوا بِقُدُومِكَ وهُمْ يَسْتَرِيثُونَ إِقْبَالَكَ إِلَيْهِمْ فَانْطَلِقْ بِنَا ولَا تَقُمْ هَاهُنَا تَنْتَظِرُ عَلِيّاً فَمَا أَظُنُّه يَقْدَمُ عَلَيْكَ إِلَى شَهْرٍ، فَقَالَ لَه رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله):

كَلَّا مَا أَسْرَعَه ولَسْتُ أَرِيمُ حَتَّى يَقْدَمَ ابْنُ عَمِّي وأَخِي فِي اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وأَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ فَقَدْ وَقَانِي بِنَفْسِه مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ واشْمَأَزَّ ودَاخَلَه مِنْ ذَلِكَ حَسَدٌ لِعَلِيٍّ (عليه السلام) وكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ عَدَاوَةٍ بَدَتْ مِنْه لِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي عَلِيٍّ (عليه السلام) وأَوَّلَ خِلَافٍ عَلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ وتَخَلَّفَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بِقُبَا يَنْتَظِرُ عَلِيّاً (عليه السلام)»)[1].

وقد ترك هذا الأمر اثراً كبيراً في نفس أبي بكر، ومن قبا بدأت مرحلة جديدة في مسيرته وعلاقته مع الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) بنحو خاص ومع بيت النبوة بنحو عام، لا سيما وأن الخصائص التي نالها الإمام علي (عليه السلام) والإنجازات التي حققها في سيره الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تسير بتصاعد مستمر.

فضلاً عن الفضائل والخصائص التي أكرمه الله بها، وخصه دون غيره من المسلمين، على اختلاف مراتبهم وفضلهم ومكانتهم من المهاجرين والانصار.

ومنها، أي هذه الخصائص الإلهية والمنح المولوية مؤاخاة النبي (صلى

(١) الكافي للكليني: ج٨ ص ٣٤٠؛ الطرائف لابن طاووس: ص٤١١؛ مختصر بصائر الدرجات لحسين بن سليمان الحلي: ص١٣٠؛ حلية الابرار للسيد هاشم البحراني: ج١ ص١٥٩.

الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في مكة والمدينة؛ أي قبل الهجرة وبعدها، وهو ما سنتناوله في ثانياً.

ثانياً - مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) وتركه لأبي بكر وأثرها في الخصومة.

ذكر المؤرخون أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد آخى بين الصحابة من المهاجرين والأنصار بعد قدومه المدينة بفترة وجيزة قيل: خمس أشهر أو ثمانية[١]؛ ولعلها ثاني الأعمال التي قام بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة، أي: بعد بنائه للمسجد؛ وكان عددهم فيما يقال: خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين ومثلهم من الأنصار[٢]، وقيل: مائة وست وثمانين[٣].

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات، عن ضمرة بن سعيد عن أبيه، قالوا:

(لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام[٤] ثم نسخت آية الميراث التوارث بينهم.

أما كيفية المواخاة بينهم، فقد ذكرها المصنفون على النحو الآتي:

١ـ أخرج ابن عساكر الدمشقي الأموي (ت ٥٧١هـ) عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي (عليه السلام)، قالا، أي عبد الله وأبيه محمد:

(١) الطبقات الكبرى: ج١ ص ٢٣٨؛ أمتاع الاسماع للمقريزي: ج١ ص٦٩.
(٢) الطبقات الكبرى: ج١ ص ٢٣٨.
(٣) امتاع الاسماع للمقريزي: ج١ ص ٦٩.
(٤) الطبقات الكبرى: ج١ ص ٢٣٨.

(آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة بين أبي بكر وعمر بن الخطاب، فلما قدم رسول الله المدينة، نقض تلك المؤاخاة إلا اثنين، المؤاخاة التي بينه وبين علي بن أبي طالب، والتي بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة)[1].

وأخرج أيضاً:

عن عمرو بن حزام الأنصاري السلمي: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) حين آخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الخزرجي)[2].

٢ـ وأخرج ابن عساكر، عن زيد بن أبي أوفى، قال:

دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجده، فقال:

«أين فلان ابن فلان»؟

فجعل ينظر في وجوه أصحابه - فذكر الحديث في المؤاخاة وفيه - فقال علي (عليه السلام):

«لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبى و الكرامة»؟!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج٣٠ ص٩٤.

(٢) الدرر لابن عبد البر: ص٩٠.

«والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي، ووارثي»، قال:

«وما أرث منك يا رسول الله؟»، قال:

«ما ورثت الأنبياء من قبلي»، قال:

«وما ورثت الأنبياء من قبلك؟» قال:

«كتاب ربهم وسُنّة نبيهم، أنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة أبنتي، وأنت أخي ورفيقي» ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

«المتاحبين في الله ينظر بعضهم»(١).

٣ـ وأخرج البلاذري (المتوفي سنة ٢٧٩هـ) عن زيد بن أرقم، قال:

(آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه، فقال علي (عليه السلام):

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني»؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أنت أخي أما ترضى أن تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتدخل الجنة إذا دخلت»؟ قال: **«بلى يا رسول الله»**(٢).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص ٥٣.
(٢) أنساب الاشراف: ج٢ ص ١٤٤.

والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد تعرض لها المصنفون منذ القرن الأول والثاني للهجرة النبوية، ولا مجال هنا لإيراد هذا الكم منها، فالبحث غير مخصص لحديث المؤاخاة.

ورحم الله العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي فقد قال في حديث المؤاخاة:

(وعلى كل حال فإن حديث المؤاخاة متواتر لا يمكن إنكاره ولا التشكيك فيه، ولا سيما مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) سواء في المؤاخاة الأولى في مكة، أم الثانية في المدينة، وهو مروي عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يتضح للمراجع.

وقد روي: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام):

إذا كان يوم القيامة نُودِيتُ من بطنان العرش، نعَّم الاب أبوك أبراهيم ونعَّم الاخ أخوك علي)[1] .

وعليه: فإن اختيار النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) ومؤاخاته ثلاث مرات، الأولى في مكة قبل الهجرة حينما آخى بين المهاجرين؛ والثانية في المدينة حينما آخى بين المهاجرين مرة أخرى، والثالثة بين المهاجرين والأنصار.

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): ج٥ ص١٠٧؛ وينظر ايضاً: المحاسن للبرقي: ج١ ص١٨٠ الامالي للصدوق: ص٤٠٣، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي: ص٥٦؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٥٤.

وإلا ما معنى أن يعيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤاخاة بين المهاجرين في المدينة، ثم بينهم وبين الأنصار إلّا أن تكون المؤاخاة قد جرت ثلاث مرات وفي جميعها يؤآخي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين علي (عليه السلام)؛ ومما لا ريب فيه إن ذلك ترك اثراً كبيراً في نفاسة أبي بكر لعلي (عليه السلام) ومخاصمته له ولبيت النبوة، لا سيما وان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صحب ابا بكر معه في الطريق الى المدينة، ثم فارقه ابو بكر في قباء ودخلها وحده وبقي النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتظر قدوم الإمام علي (عليه السلام) مع الفواطم الى المدينة فدخلاها جميعاً.

فعظمة خصومته لعلي (عليه السلام) في ذلك.

ومما زاد في الخصومة لبيت النبوة ولعلي فاطمة (عليها السلام) على نحو الخصوص هو رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بكر حينما تقدم لخطبة فاطمة (عليها الصلاة والسلام) ولمرات عدة، وفي كل مرة يرده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وهو ما سنتناوله في ثالثاً.

ثالثاً - تزويج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة من علي (عليهما السلام) وردّه لأبي بكر وعمر وأثره في الخصومة.

تفيد الروايات التأريخية والحديثية في تزويج فاطمة (صلوات الله عليها) ان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعرض بوجهه عن جميع من تقدم لخطبتها وردهم؛ حتى كان يظن الرجل منهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله (صلى الله عليه

وآلـه وسـلم) فيـه وحـي مـن السـماء)[١].

وعن ابن عباس أنه قال:

(كانـت فاطمـة تذكـر لرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) فـلا يذكرهـا أحـد إ لاَّ صـدّ عنـه حتـى يئسـوا منهـا)[٢].

وكان ممـن خطبهـا مـن النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) أبـو بكـر، وعمـر، وقـد ظهـر عـبر الروايـات أنهـما تقدمـا أكثـر مـن مـرة لخطبتهـا فردهمـا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) في كل مـرة، فكانـت عـلى النحـو الآتي:

١ـ اعراض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أبي بكر في المرة الأولى.

تفيـد الروايـات أن أبـا بكـر تقـدم للنبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) فقعـد بـين يديـه، فقـال:

يـا رسـول الله، علمـت مناصحتي وقدمي في الإسـلام، وتقدمـي عـلى غـيري، وإني، وإني...

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «**وما ذاك؟!**»

قال: تزوجني فاطمة!

فاعرض عنه، وفي لفظ آخر: فسكت عنه.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٣ ص ١٢٤.
(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج٢٢، ص ٤١٠، رقم (١٠٢٢)؛ المصنف لبعد الرزاق برقم ٩٧٨٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص ٣٣٣، برقم ٩٥٢١٣.

فرجع أبو بكر الى عمر بن الخطاب، فقال له: قد هلكت وأهلكت!

قال عمر: وما ذاك؟!

قال: خطبت فاطمة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعرض عني؟!!...)[1].

٢ـ تقدمه لخطبتها (عليها السلام) بتوسط عائشة ورد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له في المرة الثانية.

ومن الروايات التاريخية والحديثية ما يكشف عن إصرار أبي بكر على خطبة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها)، فبعد أن تقدم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه دون وسيط، و رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له واعراضه عنه، لم يكف عن هذا الطموح، بل: عاد هذه المرة وقد أدخل ابنته عائشة في الأمر، كي تتوسط له عند النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لنيل مبتغاه في زواجه من بضعة النبوة (صلوات الله وسلامه عليها).

فقد أخرج أبو بكر العتكي البزار (ت ٢٩٣هـ)، والهيثمي (ت ٨٠٧هـ) عن أنس بن مالك، أنه قال:

(إن عمر بن الخطاب أتى أبا بكر، فقال:

يا أبا بكر ما يمنعك أن تتزوج فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج٢٢ ص ٤٠٧ - ٤٠٩؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص ٣٩٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨ ص ١٩ أنساب الاشراف للبلاذري: ج١ ص ٤٨٧ (مختصرا)؛ أتحاف السائل للمناوي: ص ٣٤ - ٣٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص ٣٣١ برقم (١٥٢١٠).

قال: لا يزوجني:

قال إذا لم يزوجك، فمن يزوج، وأنك من أكرم الناس عليه، وأقدمهم في الإسلام؟ قال أنس بن مالك:

فانطلق أبو بكر إلى بيت عائشة، فقال: يا عائشة إذا رأيت من رسول الله طيب نفس وإقبالا عليك، فاذكري له أني ذكرت فاطمة، فلعل الله عزّ وجل أن يسيّرها لي.

قال أنس: فجاء رسول الله (صلى الله عليه واله) فرأت منه طيب نفس وإقبالا، فقالت: يا رسول الله، إن أبا بكر ذكر فاطمة، وأمرني أن أذكرها.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«حتى ينزل القضاء».

قال أنس: فرجع إليها أبو بكر فقالت: يا أبتاه وددت أني لم أذكر له الذي ذكرت!!)[1] .

إلا أن أبا بكر لم ينته من معاودة خطبة ابنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن رده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتين وذلك لحرصه الشديد على أن ينال بضعة النبوة، فقد علم منزلتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن المكاسب التي سيجنيها من مصاهرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن نصره الله تعالى في الخروج من مكة

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩ ص ٣٣٢، برقم ١٥٢١١؛ مسند البزار المشهور بالبحر الزخار: حديث رقم (٦٩١١).

وبناء الإسلام في المدينة، وقد دان له أكثر أهلها من الأنصار، والأمر لا يحتاج الى المزيد من البيان، أذ يكفي في ذلك قوله لابنته عائشة: (لعل الله يسيّرها لي)؛ ولذا:

نجده لم يزل ساعياً لنيل هذه الغنيمة العظمى؛ فقد تقدم لخطبتها مرة ثالثة، وهنا رد عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برد جديد، وهو على النحو الآتي:

٣ـ رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بكر في خطبته لفاطمة (عليها السلام) للمرة الثالثة.

فقد أخرج الحاكم النيسابوري، والنسائي، وأقره الذهبي في التلخيص، وغيرهم، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال:

(أن أبا بكر وعمر خطبا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فقال:

«**أنها صغيرة**»[١].

فخطبها علي (عليه السلام) فزوجها منه)[٢].

فهنا كان رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يختلف عما سبق فكونها صغيرة يستلزم أن ينتظر، ليكف أبو بكر عن التقدم مرة أخرى لخطبتها (صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٢ ص ١٦٧، أقره الذهبي في التلخيص وهو مطبوع مع المستدرك: ج٢ ص ١٦٧ السنن الكبرى للنسائي: ج٣ ص ٢٦٥ برقم (٥٣٢٩)؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق.

إلا أن الـذي كشـفته الروايـات وأفصحـت عنـه النصـوص أن النبـي الأعظـم (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) ردّ أبي بكـر وعمـر وغيرهمـا ممـن خطـب فاطمـة (عليهـا السـلام) لسـبب آخر غـير هـذه الأسـباب التـي بيّنهـا النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) أي: أنـه ينتظـر بهـا القضـاء؛ «**وأنهـا صغـيرة**».

فقـد دلـت مقاصديـة قولـه الجديـد - الـذي سيمر - عـن السـبب الرئيـسي الـذي منع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) مـن تزويـج فاطمـة لغير عـلي (عليهـما السـلام).

نعـم: أنـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) ينتظـر بهـا القضـاء فقـد أمـر الله جـلَّ شـأنه بـزواج «النـور مـن النـور»[1].

وأنهـا كانـت صغـيرة، فهـي في العـاشرة مـن عمرهـا، لكـن في الأمـر سـبب آخـر منـع النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) مـن تزويجهـا لأبي بكـر أو عمـر أو غيرهمـا؛ وهـو ممـا زاد في خصومـة أبي بكـر لفاطمـة وعـلي (عليهـما السـلام) فـما هـو السـبب الأعظـم؟

وجوابه فيما يلي:

٤ـ «هي لك يا علي لست بدجال».

إن تغيـير حـال النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) كان لعلمـه بعـدم صـدق الذيـن تقدمـوا لخطبـة فاطمـة (صلـوات الله عليهـا وعـلى أبيهـا وبعلهـا وبنيهـا)

(١) الكافي للكليني: ج١ ص ٤٦٠؛ الامالي للصدوق: ص٩٨٩؛ مناقب الإمام علي (عليه السلام) للموفق الخوارزمي.

فهو يعلم أنهم لن يصدقوا في رعايتها والحفاظ عليها وصون حرمتها.

ولذا:

فهم غير جديرين بان يودعهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعته النبوية وسيدة نساء العالمين، ولا يستحقون أن يقلدهم قلبه وروحه التي بين جنبيه.

وقد صرّح النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بتلك الحقيقة، وأعلن لهم عن أحد أسباب إعراضه عنهم وتزويجه علياً (عليه السلام)، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**هي لك يا علي لست بدجال**»(١).

وقد حاول ابن سعد توجيه الحديث لغير معناه الواضح ودلالته البينة ومقصوده الجلي، قائلا:

(خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**هي لك يا علي لست بدجال**».

يعني: لستُ بكذاب، وذلك أنه قد وعد عليا بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر وعمر(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٨ ص ١٩ – ٢٠ مسند الفردوس للديلمي: ج٣، ص ٣٧٣، رقم (٥١٣٠)؛ وفاة فاطمة للبحراني: ص ١٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨، ص٢٠.

وهذا التعليل من ابن سعد الذي جاء بضم التاء أراد به نفي الكذب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس الإمام علي (عليه السلام) بمعنى: نفي العلة عن الأشخاص الذين تقدموا لخطبة فاطمة (عليها السلام)، وهو تعليل خاطئ وتدليس وهذا أولاً.

ثانياً: قد ورد في كثير من الأحاديث: أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان آخر من تقدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاطبا؛ لأنهم يئسوا منها[١]، وفي أخرى أنه لم يذهب حتى عوتب من قبل جماعة من الأنصار[٢]، وفي رواية أخرى أنه كان غير ملتفت أصلا إلى هذا الأمر[٣]، وفي غير هذه الروايات: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعث إليه فزوجه[٤].

فمتى وعده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بفاطمة (عليها السلام)، وكما يقول ابن سعد: قبل أبي بكر وعمر.

ثالثا: لماذا لم يصرّح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك أمام كل خاطب، فيعتذر منه: بأنه وعد عليا بها ولا يريد أن يخلف بوعده! أليس

---

(١) البحار للعلامة المجلسي ج٤٣، ص٩٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٢٢، ص٤١٠، برقم (١٠٢٢)؛ مجمع الزوائد: ج٩، ص ٢٢٣، رقم (١٥٢١٣).
(٢) رشفة الصادي للحضرمي: ص٩؛ كشف اليقين للحلي: ص ١٩٥؛ البحار للمجلسي: ج٤٣، ص ١٣٦ - ١٣٧، برقم ٣٤ عن بريدة.
(٣) صحيح ابن حبان: ج١٥، ص ٣٩٣؛ مجمع الزوائد: ج٩، ص٣٣١؛ المناقب لابن المغازلي ص١٧.
(٤) دلائل الإمامة للطبري: ص ١٢؛ المناقب لابن شهر: ج٣، ص ٣٤٥ - ٣٤٧.

هذا أهون بكثير على نفوس المتقدمين إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من إعراضه وصدّه عنهم حتى كان يظن الرجل منهم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ساخط عليه أو أن وحيا نزل فيه؟!

وبحسب ما جاء به هذا الحديث: فما زوّج النبي فاطمة لعلي (عليهما السلام) إلا لإنتفاء العلة المانعة عنه، وثبوتها في غيره[١].

مما ترك اثراً كبيراً في تنامي خصومة أبي بكر لعلي وفاطمة (صلوات الله وسلامه عليهما) ولو كان أبو بكر قد ردّ الأمر الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تنامت هذه الخصومة في نفسه وتعاظمت بمرور الأيام وتكررت مع المناقب والفضائل في سير الإمام علي (عليه السلام) الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فزادت معه مظاهر الخصومة؛وهو ما سنتناوله في رابعاً.

رابعاً ـ تراجع أبي بكر في خيبر وتقدم الإمام علي (عليه السلام) فاتحاً لحصونها وأثره في تنامي الخصومة.

كثيرة هي المظاهر التي نال فيها الإمام علي (عليه السلام) التقدم والإسراع الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونيل رضاهما وحبهما ولو صرفنا الجهد لعدها وذكرها لخرج الكتاب عن عنوانه ومضمونه لا سيما تلك المواطن التي فشل فيها الآخرون ممن صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) لمزيد من الإطّلاع ينظر: صببُ السجال في حديث: (هيَ لك يا علي لستَ بدجّال)؛ للمؤلف.

ولذا:

سنكتف بهذا المظهر والذي سيليه، ففي ذلك الكفاية انشاء الله لمن كان له قلب أو ﴿**أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[١].

فقد كان فيها أبو بكر على المحك، لا سيما وان كثير من المصنّفين والباحثين من أتباع أهل السُنّة والجماعة قد حاولوا الالتفاف على هذه الحقائق أو التدليس فيها أو لمس العذر لأبي بكر، وهو ماوقع في فتح خيبر أو أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسورة براءة منه وتسليمها الإمام علي (عليه السلام) كما سيمر بيانه في المظهر القادم.

أما كيفية تراجعه عن التقدم لفتح خيبر، فكان على النحو الاتي:

١ـ أخرج أحمد بن حنبل في المسند عن أبي بريدة قال:

(حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**أني دافع اللواء غداً الى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله وسوله، لا يرجع حتى يفتح له**» فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً، فلما أن أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الغداة، ثم قام، قائما فدعا باللواء والناس على مصافهم، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه، ودفع إليه اللواء، وفتح له)[٢].

(١) ق، الآية: ٣٧.

(٢) مسند أحمد: ج٥ ص ٣٥٤.

٢ـ وأخرج البخاري (٢٥٦هـ) في صحيحه عن سهل بن سعد، قال:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر:

«**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**».

فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**اين علي**»؟

فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعى له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال:

«**أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا**»؟ فقال:

«**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم الى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لإن يهدي الله بك رجل، خير لك من أن تكون لك حمر النعم**»[1].

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً، وهي نارٌ على علم، وقد تناقلها الرواة ودونها علماء المسلمين في كتبهم، وقد قدّمنا رواية إمام الحنابلة على رواية البخاري لبيان تقدم أبي بكر مرتين لفتح خيبر وفشله في ذلك حتى أصاب المسلمين الجهد واليأس من عدم فتحها، لا سيما وأن غير واحد من

(١) صحيح البخاري، باب: دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ج٤ ص ٢٠.

الصحابة قد جرّب حظه كعمر بن الخطاب الذي رجع يجّبن الناس ويجبنونه.

وعليه:

قد كان هذا الحدث وفيما شهده الناس لا سيما صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فشل أبي بكر وتراجعه عن التقدم، وعدم مقدرته على انجاز شيء يذكر، ثم إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس في ليلة الفتح والنصر على اليهود وفتح حصنهم الأعظم، بإعطائه الراية غداً لرجل، فيه صفات خاصة لم تكن في أحدٍ غيره وتفرده بها، وإلاّ لكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أشرك علياً (عليه السلام) مع غيره في هذا الامر. والعلة في ذلك أنه لا يوجد بين الصحابة من يتصف بهذه الصفات، وهي:

١ـ يحب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ـ يحبه الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣ـ الملازمة التطابقية في كينونة هذا الحب بين الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبينه (عليه السلام)، إذ لا ينفك هذا التلازم ولا يختلف في الرتبة والتعظيم والشأنية، فالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيم في نفس علي (عليه السلام).

ولذا: فهو عظيم عندهما؛ وإلا فكل الصحابة يدّعون ذلك، بل كلّ مسلم يدعي حب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن كيف هي منزلتهما في نفس من يدعي حبهما؟

ومما لا ريب فيه أن ذلك يتضح في الأفعال.

من هنا:

كان لحدث فتح خيبر على يديه (عليه الصلاة والسلام) مع تلك الأوسمه التي نطق بها لسان الوحي ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1].

والتي تفاوت المصادر في نقلها بين الايجاز والسعة كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**كرار غير فرار يفتح الله عليه، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره**»[2].

فهذه الاوسمة التي رافقت الحدث وحظي بها أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، ومنع منها أبي بكر بعد فشله وخسرانه، كان لها أثرها البالغ في تعاظم الخصومة في نفسه أتجاه علي (عليه السلام).

وما تمضي الأيام إلّا وهي في كل يوم مصحوبة بفضائل للوصي (عليه الصلاة والسلام) حتى إذا قربت من عام الفتح أبلجت عن صبح مشرق في حياة الولي (عليه السلام) وأسفرت عن أعظم الأحاديث أثراً في نفس أبي بكر، ولعلنا لا نبالغ أن قلنا أنها كانت القاضية التي قسمت ظهر ما بقي بينهما من أمر مستور فتجلى في سورة براءة، وهو ما سنتناوله في المظهر الخامس والذي نكتف به في بيان حجم الخصومة للبيت النبوي وبالأخص لفاطمة وعلي (عليهما السلام) قبل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) سورة النجم، الآيات (٣- ٥).

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٢١٩، تاريخ اليعقوبي: ج٣ - ص ٥٦؛ رسائل الشريف الرضي: ج٤ ص ١٠٤.

خامساً ـ منع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي بكر من تبليغ سورة براءة وحمل علي (عليه السلام) لها وأثره في تعاظم الخصومة.

إنّ المتتبع لحياة رسول الله (صلى الله عليه واله) يجد أمورا ثلاثة لا تفارق فضائل الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) في كتب القوم اللذين لا يدينون الله بحبه (عليه السلام) ألا وهي: التدليس، والتحريف، والتضليل، جاهدين في ذلك ما استطاعوا، لا سيما تلك التي فيها أصول مبنى الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها حديث سورة براءة الذي أجزع أبي بكر وأوجعه[1].

ومن ثم كان له اثاره واستحقاقه من نفس أبي بكر في خصومته لعلي وفاطمة (عليهما السلام) والذي تحول بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى صراع دموي وحربي في هجوم أنصاره على بيت النبوة -كما سيمر بيانه انشاء الله تعالى- .

وعليه:

فقد جهد مخالفوا الإمام علي (عليه السلام) في اتّباع أسلافهم في التلاعب في صياغة الحدث ومجرياته سواء بمنطوق الرواية التاريخية أو التفسيرية أو الحديثية أو العقدية.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج١ ص ٣١٩، وجاء فيه: (ولما رجع أبو بكر الى النبي جزع، وقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه فلما توجهت له رددتني عنه).

ومهما يكن من أمرٍ مضلل وماكرٍ إلّا أن الحقيقة الثابتة إن لا أحد يستطيع – قديما وحاضراً ومستقبلاً – إن يخفي حقيقة إرسال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) خلف أبي بكر ليأخذ منه سورة براءة ويبلغ بها الناس في مكة، وفي هذا الأمر كفاية لبيان هذه الفضيلة وأثرها في نفوس السلف ابتداءاً من صاحب القضية أي: أبي بكر ومن تولاه وسار على طريقته ونهجه في مخاصمة بيت النبوة، لا سيما ابن عثيمين.

أما كيفية وقوع الحدث فهو على النحو الآتي، والذي نقدم فيه روايات علماء مذهب القرآن والعترة النبوية:

١ـ إنّ خير ما نبتدأ به بيان الحدث هو ما أخرجه الشيخ الصدوق (عليه الرحمة والرضوان) بسنده الى جميع بن عمير، قال:

(صليت في المسجد الجامع، فرأيت ابن عمر جالساً فجلست إليه، فقلت: حدثني عن علي (عليه السلام)، فقال:

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر ببراءة، فلما أتى ذا الحليفة اتبعه علياً (عليه السلام) فأخذها منه؛ قال أبوبكر:

يا علي ما لي أنزل فيَّ شيء؟ قال:

«لا، ولكن رسو ل الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي».

قال كثير: قلت لجميع، أتشهد على ابن عمر بهذا؟ قال: نعم، ثلاثاً)[1].

(١) علل الشرائع: ج١ ص ١٨٩.

٢ـ أما ما أخرجه محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه عن أبي هريرة والذي أورد الحادثة بالاختصار والابهام والتضليل للقارئ، فقد أوضحها ابن حجر العسقلاني مصرحاً بثبوت أخذ الإمام علي (عليه السلام) سورة براءة من أبي بكر بعد أن خرج بها الى مكة.

فقد أخرج البخاري في باب: قوله (فسيحوا في الارض أربعه أشهر...) عن حميد بن عبد الرحمن:

(أن أبا هريرة، قال:

بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان؛ قال حميد بن عبد الرحمن، ثم أردف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلي بن أبي طالب، وأمره ان يؤذن ببراءة.

قال أبو هريرة: فأذن معنا علي - (عليه السلام) - يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان)[(١)].

وقد أوضح ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) اللبس في الحديث، وبيّن ما أخفاه أبو هريرة أو البخاري، فقد قال في شرحه للحديث:

(قوله قال حميد) هو ابن عبد الرحمن بن عوف (ثم أردف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلي وأمره أن يؤذن ببراءة) هذا القدر من الحديث مرسل، لان حميد لم يدرك ذلك، ولا صرّح بسماعه له من أبي هريرة لكن ثبت

(١) صحيح البخاري: ج٦ ص ٢٠٢ ط دار الفكر لسنة ١٩٨١م.

أرسال علي (عليه السلام) من عدة طرق)[١].

وثبوت ارسال علي (عليه السلام) خلف أبي بكر لأخذ سورة براءة منه وبعدة طرق هو الأساس في بيان هذه الحقيقة التي نقلها غير واحد من علماء المسلمين فكان منهم:

٣ـ الحافظ ابن مردوية (ت٤١٩هـ) عن الإمام علي (عليه السلام)، قال:

(لما نزلت عشر آيات من براة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أبا بكر ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي: «**أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه**».

ورجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله، نزل فيَّ شيء؟!! قال:

«**لا، ولكن جبرائيل جاءني، فقال: لن يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك**»[٢].

٤ ـ أخرج الجوهري (المتوفي سنة ٣٢٣هـ)، وابن عساكر (المتوفي سنة ٥٧١هـ) وغيرهم، عن ابن عباس، قال: (أني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال:

يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، فأردو عليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ثم مرَّ يهمهم ساعة، ثم وقف فلحقته، فقال لي:

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٨ ص ٢٣٩.
(٢) مناقب علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ٢٥٢.

يا ابن عباس: ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم أستصغروه، فقلت في نفسي: هذه شر من الاولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر)[1].

وفي لفظ أخرجه الزبير بن بكار ونقله عنه ابن أبي الحديد حينما قال عمر بن الخطاب: إلا انهم استصغروه، فرد عليه ابن عباس فقال:

(والله ما استصغره الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك فاعرض عني وأسرع)[2].

وعليه:

كيف لا يكون لذلك الحدث أثر في تعاظم الخصومة في نفس أبي بكر للإمام علي (عليه الصلاة والسلام) وهو القائل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(أهلتني لإمر طالت الاعناق فيه، فلما توجهت له رددتني عنه)!!

وقال أيضاً:

(نزل فيَّ شيء)؟!

وغير ذلك من الاقوال الكاشفة عن حجم تأثر أبي بكر بما جرى وانعكاسه سلباً على علاقته ببيت النبوة الذي ظهر جلياً وعظيماً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما سنتناوله في المسألة القادمة.

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري: ٧٢؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٧ ص ٢٩٣، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٦ ص ٤٦.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ٤٦.

المسألة الثانية: مظاهر العلاقة مع بيت النبوة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتجاهر بالخصومة لفاطمة (عليها السلام).

إنَّ القراءة المنصفه- والتي يرجوا فيها القارئ اليوم الآخر- لتتابع الاحداث في الاسلام ليجد أنها تكشف عن تعاظم شخص أمير المؤمنين الامام علي (عليه الصلاة والسلام) منذ أن بعث رسول الله (صلى الله عليه واله) وحتى وفاته؛ والتي تكاثرت فيها المواقف وتعددت أثارها على الفكر والعقيدة والحياة بمختلف جوانبها، والتي لا يمكن عرضها مفصلاً في هذه الاسطر، فمنها:

١ـ ثبات الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) في معركة أُحد، وفرار غيره من الصحابة؛ حيث كان (عليه السلام) يذود المشركين بمهجته وسيفه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى اعْوجَّ سيفه مرارا.

٢ـ مبارزة الإمام علي (عليه السلام) لعمرو بن ود في معركة الأحزاب وقتله وعزوف أبي بكر عن الخروج فلم يتجرأ للمواجهة.

٣ـ قيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتخليف الإمام علي (عليه السلام) في المدينة في معركة تبوك وقوله له (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي).

٤ـ اختيار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في محاربة الوثنية وتكسير الأصنام في عام الفتح وصعوده على كتف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وترك أبي بكر وعدم تقديمة لهذه المهمة.

٥ـ أخذ البيعة لعلي (عليه السلام) في حجة الوداع عند غدير خم وتسليم الصحابة عليه (عليه الصلاة والسلام) بلفظ (السلام عليك يا أمير المؤمنين) وبلفظ الولاية كقول عمر:

(بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[١].

٦ـ اخراج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بكر في سرية أسامة بن زيد ليكون تحت أمرته، وأسامة شاب لم يكتمل عارضيه فلم يمنعه ذلك من أن يكون أميراً لأبي بكر وقد ناهز الستين من عمره في حين أبقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي (عليه السلام) الى جواره في المدينة.

٧ـ تمريض الإمام علي وفاطمة (عليهما السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ايامه الأخيرة دون أزواجه.

٨ـ إبطال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لصلاة أبي بكر بعد أن عصى أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الالتحاق بسرية أسامة فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتهادى بين الإمام علي (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب ورجلاه (صلى الله عليه وآله وسلم) تخطان الأرض من الضعف فأبطل صلاة أبي بكر بالمسلمين[٢].

---

(١) رسائل الشريف الرضي (رحمه الله): ج٤ ص ١٣١؛ مناقب الإمام علي (عليه السلام) لابن المغازلي: ص٣٧؛ عمدة عيون الاخبار لابن البطريق: ص٣٤٤.

(٢) لمزيد من الاطّلاع والمراجعة ينظر كتابنا الموسوم بـ: وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموضع قبرة وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه).

٩ـ طرد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بكر وعمر بن الخطاب وجماعة من الصحابة حينما حضروا عنده وقد عصوه ولم يلتحقوا بسرية أسامة، فلما رأهم من حوله، قال لهم:

«**أتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**» فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا:

ما شأنه أهجر؟! أستفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه...**»[1].

وغير ذلك من الاحداث التي تجلت فيها خصومتهُ لبيت النبوة ولعلي وفاطمة(عليهما السلام) على نحو خاص، كما أخبر الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) في تحديد وقت ظهور هذه الخصومة في قبا حينما أعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أبي بكر وبقى منتظراً لقدوم علي (عليه السلام).

فمنذ ذلك الوقت والخصومة بينه وبين بيت النبوة يتعاظم أمرها لتتجلّى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحرب مفتوحة على بيت النبوة وثقل الرسالة في الامة، وهم فاطمة وعلي وولدهما (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وفي مجالات متعددة.

لا سيما في المجال الاقتصادي، وذلك بمصادرة أرض فدك، وحبس ميراث

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص ١٣٧، باب: مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمواله، وسهم ذوي القربى من الخمس وغيرها؛ وفي المجال النفسي والاجتماعي بعزل هذا البيت النبوي من الدخول إليه، واعراض الناس بوجهها عن علي (عليه السلام) فكانوا بين حائر لا يدري ماذا يصنع، أو مهادن للسلطة ومنتفع من العهد الجديد، أو خائف هائم على وجهه يحذر الوصول الى بيت النبوة، بعد أن انتهك أبو بكر وعمر حرمته، وأرعبا بالنار أهله؛ وغير ذلك، وهو على النحو الاتي:

أولاً – محاربته بيت النبوة بالسيف والإحراق بالنار.

إن أولى المهام التي قام بها الحاكم الجديد الذي ولد من رحم السقيفة هي الانقضاض على خصومه الأساسيين، وهم علي وفاطمة (صلوات الله وسلامه عليهما) ومحاربتهم بشتى الوسائل إلا أن كثير من الصحابة لم يكن يخطر على باله أن أبا بكر تصل به الجرئة إن يدفع بعصابة من أتباعه لإقتحام بيت النبوة فيعلنها حرباً عليهم.

فقد ذكرت النصوص: (أنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي (عليه السلام) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم، وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال:

والذي نفس عمر بيده، لتخرجين، أو لأحرقها على من فيها!!!

فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟!! فقال: وإنْ !!!)[١].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص ١٩؛ مسند فاطمة للسيوطي: حديث ٣١؛ البحار للمجلسي: ج٢٨ ص ٣٥٦.

وفي رواية اليعقوبي (ت ٢٤٨هـ):

(وبلغ أبا بكر وعمر، أن جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله -(صلى الله عليه واله)- فاتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر فصارعه عمر، فصرعه وكسر سيفه، ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة، فقالت:

«والله لتخرجنَّ أو لأكشفنَّ شعري ولأعجنَّ الى الله»!!![(١)].

إن قراءة متأنية للحديث الذي أوردته كتب الفريقين بألفاظ متعددة، ودراسته وتحليله ترسم لنا صورة واضحة عن مجريات هذه الجريمة العظمى في الإسلام وبيان تفاصيل وقوعها.

لا سيما وكما أسلفنا أن القوم قد حاولوا التضليل والتغيير والتعتيم على هذه الحادثة بشتى الصور؛ ولذا فقد وردت بصورة مختلفة عن الواقع فضلاً عن حذف كثيرٍ من تفاصيل مراحل وقوع جريمة الهجوم على بيت النبوة.

وعليه:

فإننا نجد أن المرحلة الأولى من اقتحام بيت النبوة هي (جمع الحطب عند بيت فاطمة وعلي وولديهما) جرت ضمن اختصارات كثيرة في روايات أهل السُنّة والجماعة يمكن ملاحظتها، أي هذه الاختصارات عبر المقارنة فيما بينها وبين الروايات الواردة في مدرسة العترة النبوية من جهة، ومن جهة أخرى مقارنتها فيما بينها أيضاً، أي: مقارنة هذه الروايات في نفس مصادر أهل

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص ١٢٦؛ ط دار صادر؛ و ج ٢ ص ١١ ط الأعلمي.

السُنّة والجماعة، لا سيما ما أخرجه ابن أبي شيبة الكوفي بسند صحيح، فقد اتضح عبر دراسته وتحليله ومقارنته مع غيره من المصاردر ما يلي:

١ـ أورده ابن أبي شيبة الكوفي في مصنفه، وابن أبي الحديد المعتزلي بصورة كاملة، في حين حذف منه التهديد بحرق البيت بمن فيه كلٌّ من ابن عبد البر، والصفدي، والنويري، فبدلوا قول عمر بن الخطاب لفاطمة (صلوات الله وسلامه عليها):

(وأيم الله ما ذاك بمانعي أن اجتمع هؤلاء النفر عندك إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت)[1].

إلى قول آخر نسبوه لعمر بن الخطاب وهو:

(ولإن بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك، لأفعلن وأفعلن)[2]!!

واستبدلوا قول فاطمة (عليها السلام) الذي أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي عاصم، والمعتزلي لهؤلاء الصحابة الذين التجؤوا إلى دارها من قولها لهم:

«تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لإن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين»[3].

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص ٥٧، ح٤؛ المذكر والتذكير لابن أبي عاسم: ص ٩١؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢، ص ٤٥.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص ٩٧٥؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج١٧، ص ١٦٧؛ نهاية الأرب للنويري: ج١٩، ص٤١.
(٣) المصنف لابن أبي شيبة: ج٨، ص ٥٧؛ المذكر والتذكير لابن أبي عاصم: ص ٩١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص ٤٥.

إلى قول آخر، وهو:

«إن عمر قد جاءني وحلف لان عدتم ليفعلنّ، وأيم الله ليفعلنّ بها، فانظروا في أمركم»[١].

في حين قام الخطيب البغدادي بحذف جميع الحادثة في تهديد عمر لفاطمة (عليها السلام) بحرق بيتها بمن فيه وجوابها له، فقال مختصراً الأمر ومظهراً له بحلة جديدة، فقال: قال عمر بن الخطاب لفاطمة: (يا بنت رسول الله ما كان أحد أحب من الناس إلينا من أبيك، وما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك)[٢].

ولا ريب أن الهدف من هذا التدليس هو ان القارئ لهذا الحديث يجد صورة جميلة جداً عن إيمان ابن الخطاب!! وذلك لمقدار حبه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنته من بعده!!! ومن ثم لا وجود لحادثة حرق بيت فاطمة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) بيد عمر بن الخطاب!! وقتلها متأثرة بهذا الهجوم والترويع لها ولولديها.

وبفضل جهود الخطيب البغدادي كان الشيخان أكثر الناس اتباعاً لهذه السُنّة فقد صانا عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده، ومن ثم يخرج القارئ لا يعلم شيئاً عن سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أنه يجد سُنّة متضاربة ومتناقضة، وذلك بفضل تلك الجهود التي بذلها

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص ٩٧٥؛ الوافي بالوفيات: ج١٧، ص ١٦٧؛ نهاية الأرب للنويري: ج١٩، ص ٤١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج٥، ص ١٦٨.

أولئك المخالفون للسُنّة النبوية والمتمسكون بسُنّة الشيخين في إخراج المرويات بحسب المقاسات التي ترتضيها الساسة وعطاياهم.

٢ـ أن مما لا شك، ولا ريب، ولا شبهة فيه، أن هذا الخطاب الذي توجه به عمر ابن الخطاب لبضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء بالكيفية التي أخرجها ابن أبي شيبة، وابن أبي عاصم من التهديد الصريح بحرق دارها بمن فيها!! وفيه فاطمة وعلي والحسن والحسين(عليهم السلام) وبعض الصحابة من المهاجرين والأنصار.

أو سواء بالكيفية التي أخرجها ابن عبد البر، أو الصفدي، أوالخطيب البغدادي؛ ففي كلتا الكيفيتين فإن عمر بن الخطاب قد أرعب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وولديها الحسن والحسين؛ واذاهما أشد الأذى، وأرعب الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأدخل عليهم الذّعر والخوف، وأنه آلم بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو بهذا الصنيع يكون قد ارتكب مجموعة من الأفعال التي غيرت عقيدة المسلمين وتفريقهم، وهي كالاتي:

أـ إنّه آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

١ـ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذني ما آذاها»[(١)].

٢ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح: ج٦، ص ١٥٨.

«فمن آذاها فقد آذاني...»[1].

والله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم في بيان جريمة من يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّ شأنه وعقابه اللعن في الحياة الدنيا وفي الآخرة كذاك تكون عقوبته اللعن والعذاب المهين كما هو واضح وصريح في الآية المباركة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[2].

ب- إن عقوبة من يرعب أهل المدينة، أو يحدث فيها حدثاً، أو يخيف أهلها، قد أظهره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس، وقد أخرجه أئمة الحديث عند أهل السُنّة والجماعة في صحاحهم، فمنها:

١- أخرج البخاري ومسلم، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال:

«المدينة حرم ما بين عير على ثور؛ فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين؛ لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[3].

٢- أخرج أبو داود في السنن، من حديث علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص ١٥٩؛ فتح الباري: ج٩، ص ٢٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: حرم المدينة برقم (١٨٧٠)، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة حديث (١٣٦٦).

«المدينة حرام ما بين عافر إلى ثور؛ فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، لا يختلي خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا تلفظ لفظها إلاّ لمن أنشد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجلاً بعيره»(1).

٣ـ ذكر إمام المذهب الحنبلي في مسنده، عن ابن صعصعة، عن عطاء بن يسار، عن السائب بن خلاد، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

«من أخاف أهل المدينة ظلماً، أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة أجمعين؛ لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»(2) أي لا نفلًا ولا فرضاً»(3).

٤ـ أخرج العباسي والجنيدي عن جابر بن عبد الله، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول:

«من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(4).

وعليه:

لا يمكن تغيير الحقائق أو تحسين الجرائم أو تبرير الآثام لا سيما وأن الأمر متعلق بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف يمكنهم أن يطفئوا نور الله، والله عزّ شانه يقول:

---

(١) سنن أبي داود، باب تحريم المدينة، حديث (٢٠٣٤) ج٢ ص ٥٢٩؛ مشير العزم الساكن لابن الجوزي: ص ٢٣٥ مكتبة الصحابة بجدة.
(٢) مسند أحمد: ج٤ ص ٥٥، حديث (١٦٦٢٢).
(٣) الدرة الثمينة لابن النجار: ص ٤٦ ط دار الأرقم.
(٤) عمدة الأخبار في مدينة المختار للعباسي: ص ٩٠ - ٩١ ط أسعد الحسيني، فضائل المدينة للجنيدي المكي: ص ٣٠ ط دار الفكر.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١].

ثانياً - محاربته بيت النبوة بالتجويع والحجر الاقتصادي.

إن الاحداث الفظيعة التي جرت على بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مرّ في الحرب التي شنتها السلطة الجديدة في محاربة بيت النبوة بالسيف والإحراق بالنار، أتبعتها بحرب جديدة؛ إذ لم تكتف السلطة بهذه الأضرار الجسدية والنفسية التي أفرزها اقتحام بيت فاطمة (عليها الصلاة والسلام) وإرهاب أطفالها وترويعهم.

وإنما تحولوا من الحرب بالسيف والإحراق بالنار، وحرب العصابات المسلحة، الى الحرب الاقتصادية ومحاصرة فاطمة وعلي وولديهما (سلام الله عليهم أجمعين) ومنعهم من جميع حقوقهم التي فرضتها الشريعة الإسلامية، وهي على النحو الاتي:

١ـ مصادرة السلطة لنحلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة، أي: أرض فدك.

٢ـ إرثها (عليها السلام) من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ممثلاً بمال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المعروف بالحوائط السبعة والعوالي.

٣ـ خمس خيبر، ممثلا بسهم ذوي القربى.

وبذلك تكون فاطمة وبعلها وولدها (عليهم السلام) قد منعوا من جميع

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

المصادر المالية كي لا تقوم لأهل هذا البيت قائمة بعد رحيل سيد هذا البيت وعموده (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولذا:

فقد أقدمت السلطة على هذا الحجر والتجويع في حربها الاقتصادية على بيت النبوة والتي اظهرته عائشة وهي تروي ما شجر بين أبي بكر وفاطمة (عليها السلام)، فقالت:

(إن فاطمة - (عليها السلام) - أرسلت إلى أبي بكر تسأله عن ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، وفدك، وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال».

وإني والله لا أغيّر شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت)[1].

وقد كشفت الرواية عن جملة من الامور:

١ـ إن أموال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) صحيح البخاري، باب: مناقب المهاجرين: ج٤، ص ٢١٠.

ألف- أمواله في المدينة.

باء- أرض فدك.

جيم- خمس خيبر.

وهذه الأموال جاءت فاطمة (عليها السلام) تطالب بها أبي بكر وذلك بعد حبسها ومصادرتها وجعلها من ضمن أموال السلطة.

٢ـ إطلاق اسم جديد على هذه الأموال وعنوان تشريعي يمّكن أبي بكر من مصادرة هذه الأموال لحسابه كي يتصرف فيها ما يشاء، فسميت بـ (صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي: نفي الملكية الخاصة عن هذه الأموال إلى الملكية العامة فتنفق بحسب ما تراه السلطة التي وضعت يدها على هذه الأموال.

ولذلك: نجد في كتب التاريخ والسيرة وغيرها أن هذه الأموال تسمى بصدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كي يضيع معها أي حق لفاطمة (عليها السلام) وأن لا يلتفت إليه المسلمون فيما بعد وعلى مرور الزمن.

٣ـ إن أبا بكر كان يدرك جيداً أن هذه الأموال هي مما يستعين به آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على مؤونتهم وذلك أن الله تعالى كان قد حرم عليهم الصدقة وأباح لهم الخمس وما ورثته فاطمة من أموال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أفاء الله تعالى عليه - كما سيمر بيانه -.

وعليه:

أصبح آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين مطرقة حرمة الصدقات فلا يجوز لهم أكل الصدقة وبين حبس الخمس فمن أين يأكلون؟! ولذا:

كان حصاراً بعنوان شرعي حتى يتم القضاء على أهل بيت فاطمة (عليها السلام).

٤ـ إن هذه الممارسات التي أقدمت عليها السلطة نتج عنها غضب بضعة النبوة (عليها السلام) على أبي بكر، فلم تكلمه حتى انتقلت إلى بارئها، لتشكو إليه ظلامتها، وقد ثبت في الصحيح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

«فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها»[1].

ثالثاً – قذف بيت النبوة على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قد لا يخفى أن فضاعة هذا الفعل وقبحه يزداد ويعظم كلما كان المرء ذو شأن وقداسة وحرمة، فضلاً عن مكان الشتم والقذف وحرمته.

ومن ثم: فلا منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له رحمة ولا مسجده، ولا بضعته، ولا شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجميع هذه الأمور والأشياء مرتبطة به ومتلاصقة معه في التعظيم والحرمة.

ولعل ما وقع من أبي بكر بقذفه بضعة النبوة وصفوة الرسالة وعلى منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي مسجده وفي محضر أصحابه من المهاجرين والانصار ليخجل جبين الأمة، ويعاظم في سخط الله عليها؛

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح: ج٦ ص ١٥٨؛ صحيح مسلم، باب: فضائل فاطمة (عليها السلام): ج٧ ص ١٤١ سنن الترمذي، ما جاء في فضل فاطمة (عليها السلام): ج٥ ص ٣٥٩؛ سنن أبي داود، باب في الشغار: ج١ ص ٤٦٠ وغيرها.

وكيف لا وقد رضت وشايعت الجبت والطاغوت، فكانت شريكة في العمل، حاملة لوزرهما، قديماً وحديثاً ومستقبلاً، متبعة في ذلك سنن الذين ظلموا من الأمم السالفة، كعاقر ناقة نبي الله صالح(عليه السلام) وسامري بني إسرائيل.

فان يكن الجاني نفر واحد في عقر الناقة ألاّ أن العذاب شمل الأمة التي رضيت وسكتت وسالمت مع الطاغوت.

قال تعالى:

﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

بل: لقد أقدمت هذه الأمة في انتهاكها لحرمة فاطمة (عليها السلام) بما لم تقدم عليه أمة من الأمم، فها هي مريم أبنت عمران (عليهما السلام) حينما عادت الى بيت المقدس تحمل وليدها (عليه السلام) لم يقذفها رهبان اليهود وأحبارهم، بل تأدبوا في محضرها، فقالوا **﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾**[3].

---

(١) سورة الشمس، الآية: ١٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٧.

فلم ينادونها باسمها تأدباً وتعظيماً واجلالاً لقدرها، فقالوا: يا أخت هارون؛ على الرغم من انها جاءت تحمل طفلاً من غير أب.

ولذا:

﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[1].

ألا هذه الأمة، وعلماء السوء فيها الذين لم يرعو لفاطمة حرمة، ولا كرامة، ولا قدر، ولا شأن؛ وآنى لمريم ما لفاطمة (عليها السلام) وهي بضعة النبوة، وصفوة الرسالة، وسيده نساء العالمين، ونساء أهل الجنة.

(ما لكم كيف تحكمون) وباي وجه على الله ستقدمون.

إلاّ أن أبا بكر لم يمنعه مانع في قذف بضعة النبوة والرسالة، ومن على منبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونعتها بالسيئات -والعياذ بالله-!!!

فأي شناعة وبشاعة واستهجان ومجاجة وتوحش وتجرء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا الفعل!!!

ولعل الرجوع الى قول أبي بكر في قذف بيت النبوة الذي أخرجه العديد من علماء أهل السُنّة والجماعة منذ القرن الثالث للهجرة النبوية ليرفع العجب الذي يخالط نفس القارئ، ويكشف له ارهاب السلطة في حربها المفتوحة على بيت النبوة لا سيما الحرب النفسية والاجتماعية.

فقد روى الجوهري (ت ٣٢٣هـ)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، وابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـت)، وغيرهم:

(١) سورة مريم، الآية: ٢٩.

(فلما سمع أبو بكر خطبتها[١] شق عليه مقالتها، فصعد المنبر، وقال:

(أيّها الناس ما هذه الرّعة إلى كلّ قالة، أين كانت هذه الأمانيّ في عهد رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلَّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة، هو الَّذي يقول: كرّوها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، «**كامّ طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ**»!!! ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنّي ساكت ما تركت).

ثمّ التفت إلى الأنصار، فقال:

(قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله - (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) - أنتم، فقد جاءكم فاويتم ونصرتم، ألا إنّي لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثمّ نزل، فانصرفت فاطمة إلى منزلها)[٢].

ويكشف النص التاريخي عن حجم المأساة والمصيبة التي نزلت بالأمة.

(١) خطبة فاطمة (عليها السلام) التي ألقتها في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جمع من المهاجرين والانصار، تخاطب أبي بكر وتحاججه بعد أن صادر أموال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واخرج عاملها على أرض فدك، ومنع عليها سهم خيبر، وميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

للاطلاع على الخطبة الشريفة، ينظر: بلاغات النساء لابن طيفور: ص ١٥ - ١٩؛ دلائل الامامة للطبري: ص ١١٢ - ١١٦؛ الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) السقيفة وفدك للجوهري: ص ١٠٤؛ جمهرة الامثال للعسكري: ج١ ص ٥٥٤؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١٦ ص ٢١٥، دلائل الامامة للطبري: ص ١٢٣، بحار الأنوار: ج٢٩ ص ٣٢٦؛ منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي: ج٢٠ ص ١٠٠.

حتى أصحبت هذه الشنيعة سُنّة لاتباع أبي بكر وعمر، فقد تعاهدوا على ذلك في التجري على أهل بيت النبوة وهجائه وقذفه، وفي ذلك يقول الإمام جعفر ابن محمد الصادق (عليهما السلام):

«إن الكبائر سبع فينا أنزلت، ومنا استحلت، فأولها الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله قتلها، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وإنكار حقنا.

فأما الشرك بالله، فقد أنزل الله فينا ما نزل، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قال، فكذبوا الله ورسوله وأشركوا بالله.

واما قتل النفس التي حرم الله قتلها فقد قتلوا الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه.

وأما أكل مال اليتيم، فقد ذهبوا بفيئنا الذي جعله الله لنا، واعطوه غيرنا.

وأما عقوق الوالدين، فقد أنزل الله ذلك في كتابه فقال:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم.... ﴾[1].

فعقوا رسو الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذريته وعقوا أمهم خديجة في ذريتها.

وأما قذف المحصنة، فقد قذفوا فاطمة (عليها السلام) على منابرهم.

وأما الفرار من الزحف، فقد أعطوا أمير المؤمنين بيعتهم طائعين غير مكرهين ففروا عنه وخذلوه.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

وأما إنكار حقنا، فهذا ما لا ينازعون فيه»[١].

ولعل الرجوع إلى ما أخرجه أحمد في المسند وغيره[٢] من إجراء سُنّة سب الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) على المنابر، ليغني القارئ والباحث عن التتبع فيما أسسه الأولون من التعرض لأهل بيت النبي(صلى الله عليه واله) وقضفهم على المنابر.

وما قول ابن عثيمين إلا خير شاهد معاصر على إجراء هذه السُنّة في الأمة، فقد أنبرى على اشتراكه في هذه الحرب المفتوحة على بيت النبوة (عليهم السلام) ومن على منبر المسلمين وفي مسجدهم لينعت بنت نبيهم (صلى الله عليه واله) وبضعته فاطمة (عليها السلام) ويقذفها لخصومتها أبي بكر وهجرها له حتى ماتت، بأنها: (ليس لها عقل تدرك به ما تقول أو تفعل أو ما هو الصواب)!!!

وعليه:

لزم علينا الرجوع الى مقاصدية القرآن والسُنّة وعرض ما قاله ابن عثيمين في خصومة فاطمة (عليها السلام) لأبي بكر، واستنطاقهما بغية الوصول الى معرفة المرتكزات الفكرية والمفاهيمية والعقدية لمنتج النص؛ أي ابن عثيمين ومقاصدية قوله في بضعة النبوة (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنبها).

وهو ما سنتناوله في الفصل القادم.

---

(١) علل الشرايع للصدوق: ج٢، ص ٤٧٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، من مسند عبد الله بن عباس: ج١، ص ٣٣١؛ المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص ١٣٢؛ السنن الكبرى للنسائي: ج٥، ص١١٣.

فهرس المحتويات

المبحث الأول
فاطمة (عليها السلام) في مقاصدية القران والسُنّة

المبحث الثاني
مظاهر علاقة أبي بكر ببيت النبوة في مقاصدية القرآن والسُنَّه

